العنوان: النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بني تغلق : 721 - 816 هـ / 1321 - 1414 م

المصدر: حوليات كلية الآداب - الكويت

المؤلف الرئيسي: محمود، محمود عرفه

المجلد/العدد: الحولية18, الرسالة128

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 1998

الصفحات: 7 - 104

رقم MD: 256994

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: AraBase

مواضيع: غياث الدين تغلق ، النظم السياسية، الهند ، دولة بني تغلق ، النظم الاجتماعية، العلاقات الخارجية، السلطة السياسية

رابط: http://search.mandumah.com/Record/256994

الرسالة الثامنة والعشرون بعد المئة

النظم السياسية والاجتماعية بالهند
في عهد بني تغلق
(٧٢١ - ٨١٦ هـ - ١٣٢١ - ١٤١٤ م)

أ. د. محمود عرفة محمود
قسم التاريخ - جامعة القاهرة

حوليات كلية الآداب - الحولية الثامنة عشرة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

المؤلف

الدكتور محمود عرفة محمود عرفة

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - بكلية الآداب جامعة القاهرة.

المؤهلات العلمية :

١ -الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨٣.

٢ - الدكتوراه في الآثار من قسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٦.

الإنتاج العلمي :

أولا : الرسائل والكتب :

١ - الجيش في العصر الأموي، رسالة الماجستير في الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨٠.

٢ - الجيش العباسي خلال عهدي البويهيين والسلاجقة (٣٣٤-٥٩٠هـ)، رسالة الدكتوراه في الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨٣.

٣ - المسكوكات النحاسية والبرونزية بمصر الإسلامية خلال عصر الولاة (دراسة أثرية حضارية)، رسالة الماجستير في الآثار، جامعة القاهرة ١٩٨٩.

٤ - العرب قبل الإسلام (أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٥.

٦ - النقود في مصر والدول المستقلة في الشرق الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة (دراسة أثرية حضارية)، رسالة الدكتوراه في الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٦.

ثانيا : البحوث :

١ - الجيش الغزنوي (إعداده وتنظيماته الحربية)، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الأول، يناير ١٩٨٨.

٢ - تنظيمات الجيش الأموي بالأندلس خلال عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، المجلد الثامن، العدد ٣٠، ربيع ١٩٨٨.

٣- الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية في القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ١٦، ١٩٨٨.

٤- مسكوكات العهد البويهي بالعراق وأهميتها التاريخية، الحوليات الإسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، المجلد ٢٤، ١٩٨٨.

٥- الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢-٤٦٧ هـ/ ١٠٣١ - ١٠٧٥م) حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة رقم ٦١، الحولية العاشرة ١٩٨٨/ ١٩٨٩.

٦- أعلام النهضة الثقافية بالعراق في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد السادس، يناير ١٩٩١.

٧- الحركات المناوئة للدولة الصفارية وأهمية النقود التي ضربها زعماء هذه الحركات في تحقيق بعض النواحي التاريخية لهذه الدولة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٥٦، ديسمبر ١٩٩٢.

٨- نقود السامانيين وأهميتها في دراسة علاقتهم بالخلافة العباسية من قيام دولتهم إلى منتصف القرن الرابع الهجري، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد ٤٢، شتاء ١٩٩٣.

٩- خطة الشرطة بالأندلس خلال عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م)، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣.

١٠ - أساليب ضبط ورقابة المعاملات التجارية والمالية في صدر الإسلام، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦.

المحتوى

الملخص

قامت دولة بني تغلق ببلادالهند في أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، على يد غياث الدين تغلق في وقت كانت بلاد الهند ترزح فيه تحت تسلط خسروخان - آخر حكام الدولة الخلجية - الذي كان قد استولى على عرش السلطنة سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢١م، فلما استنجد أهل دهلي بتغلق، هب على الفور وسار إلى حاضرة الدولة، وولي عرش السلطنة بعد القضاء على خسروخان سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م.

وعلى الرغم من قيام دولة بني تغلق على يد غياث الدين إلا أن ملامح الدولة السياسية وتقاليدها ونظمها الحضارية لم تتخذ شكلها المميز إلا في عهد ابنه محمد شاه تغلق - الذي عمل بجد وإخلاص لإقامة السلطة على أسس وقواعد سياسية متطورة ونظم حديثة، وسار على نهجه خلفاؤه مما كان له أبلغ الأثر في تطور النظم السياسية واستقرار الحياة الاجتماعية.

تتجلى ملامح النظم السياسية في الهيئة الحاكمة التي تتمثل في السلطان مصدر الحكم والسلطات في الدولة، وهيئة حاكمة معاونة مختارة بدقة من كبار رجال الدولة. وقد وضع سلاطين بني تغلق نظاما لرقابة موظفي الدولة بجميع مستوياتهم، مما أتاح لهم السيطرة الكاملة عليهم ومحاسبتهم أولا بأول لضمان سير أمور الدولة بطريقة مضبوطة محكمة، ومن ناحية أخرى حرص سلاطين دهلي على الحصول على تقليد بحكمهم من الخلفاء العباسيين لإضفاء الشرعية على حكمهم، فضلا عن اهتمامهم بتوطيد العلاقات الدولية من خلال تبادل السفارات مع ملوك وسلاطين الدول المعاصرة لها.

أما النظم الاجتماعية فكانت لها ملامح خاصة بسبب طبيعة تكوين المجتمع

الذي كان يتألف من عناصر جنسية متنافرة، لذلك وجد السلاطين صعوبة كبيرة من جراء النزاع بين أربابها، فضلا عن الصراع الطبقي بين الراجبوت والشودرا أو الطبقة المنبوذة.

تتجلى مظاهر الحياة الاجتماعية في الاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية وألوان الطعام وصنوفه ومراسم العرس والموت، فضلا عن المجالس الاجتماعية، فمنها مجالس العلم والأدب التي كانت تعقد في قصور السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة، حيث يجتمع فيها العلماء والأدباء والفقهاء للمناقشة والمناظرة وإلقاء الأشعار. وقد أدى الاهتمام بهذه المجالات إلى انتشار المد الثقافي في أرجاء السلطنة، الذي تجلى في ظاهرة إنشاء المدارس لتدريس مختلف العلوم الشرعية والعقلية، وكانت تتألف من مدارس للصبية وأخرى للبنات مما شجع النساء على التحصيل والمعرفة، ومجالس الموسيقى والغناء - التي انتشرت في بلاد الهند على عهد بني تغلق، بعد أن انتقلت عادة الاهتمام بها من قصر السلطنة إلى قصور الأمراء وكبار رجال الدولة والأثرياء.

وعلى الرغم من تقدم النظم السياسية والاجتماعية خلال حكم آل تغلق إلا أن الصراع على السلطة أدى إلى قيام الحروب الأهلية - التي أدت بالضرورة إلى ضعف سلطة الدولة، فأعلن حكام ولاياتها العصيان وأعلنوا الاستقلال بولاياتهم، فضلا عن طمع زعماء القوى الخارجية وتطلعهم للاستيلاء على تلك البلاد الغنية، فسارت الدولة بخطى واسعة نحو الانهيار والسقوط سنة ٨١٢هـ/ ١٤١٤م.

المقدمة :

يعد عهد بني تغلق عهد الامبراطورية الإسلامية الكبرى بالهند (في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، فقد تمكن سلاطين هذه الدولة من السيطرة على أغلب أطراف الهند، وبلغت جيوشهم أقصى جنوب شبه الجزيرة الهندية، وسطعت شمس الإسلام في تلك الأقطار بفضل جهودهم المخلصة من أجل إعلاء كلمة الإيمان.

كان تغلق الذي تنسب إليه الدولة من الأتراك القراونة - الذين كانوا يقطنون الجبال الواقعة بين بلاد السند والترك، فقدم تغلق السند في ركاب بعض التجار،والتحق بخدمة أمير السند أولغ خان، وترقى في بلاطه حتى صار أميرا للخيل ثم من الأمراء الكبار، وتلقب بالملك الغازي بعد أن أبلى بلاء حسنا في محاربة المغول، وسجل ذلك في النص التأسيسي للمسجد الجامع بالملتان : «أني قاتلت التتر تسعا وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سميت بالملك الغازي»[1].

ظهر بنو تغلق في وقت كانت بلاد الهند ترزح فيه تحت تسلط خسرو شاه - آخر حكام الدولة الخلجية، الذي كان قد استولى على عرش السلطنة سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢١م، وأباح لكفار الهنود إظهار نحلهم القائمة على الشرك والوثنية، فقاموا بنصب أصنامهم في كل مكان فضلا عن اعتدائهم على المسلمين، وتمزيق المصاحف في جرأة بالغة، مما أثار حفيظة المسلمين، فاستنجدوا بغازي تغلق، الذي هبّ على الفور وسار إلى حاضرة الدولة ملبيا النداء، حيث تكللت جهوده بالنجاح بعد القضاء على خسرو شاه، وولي عرش السلطنة سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م.

---

(١) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٤٥٨.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها تغلق في سبيل توطيد سلطان دولته، والعمل بكل حزم لإعادة الأمن إلى ربوع البلاد، إلاّ أن ملامح الدولة السياسية وتقاليدها ونظمها الحضارية، لم تتخذ شكلها المميز إلا في عهد ابنه محمد شاه تغلق (٢) الذي عمل بجد وإخلاص، لإقامة السلطنة على أسس وقواعد سياسية متطورة، ونظم حديثة، وحرص على إحياء شعائر الإسلام والقضاء على البدع والمنكرات التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي الهندي وتفشت فيه، فضلا عن اهتمامه بتنظيم العلاقات بين الطوائف والأجناس المختلفة التي كان يتألف منها المجتمع الهندي، وقد سار على نهجه خلفاؤه من بني تغلق، مما كان له أبلغ الأثر في تطور النظم السياسية، واستقرار الحياة الاجتماعية.

يتناول البحث النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بني تغلق (٧٢١-٨١٦هـ/ ١٣٢١-١٤١٤م)، فيبدأ بتمهيد عن قيام دولة بني تغلق وجهود حكامها في توطيد سلطانهم على أطرافها، والقضاء على حركات المعارضة والتمرد، وإعادة الأمن والرخاء إلى ربوع البلاد.

يتناول الفصل الأول النظم والأحوال السياسية فيعرض لأهم ملامح النظم السياسية التي اهتم بنو تغلق بإقامتها على أسس جديدة محكمة، من خلال قيادة تتمثل في السلطان - مصدر الحكم والسلطات في الدولة - وهيئة حاكمة معاونة مختارة بدقة من كبار رجال الدولة وعلى رأسهم نائب السلطنة، والمشرف على السلطنة، وصاحب ديوان العارض، وصاحب ديوان الإنشاء، وصاحب ديوان

(٢) وصف Lane -Poole السلطان محمد شاه تغلق بأنه رجل الأفكار "A Man of Ideas" واستطرد قائلا: «كان محمد تغلق من الشخصيات الفريدة التي صنعت تاريخ الهند في العصور الوسطى».

Lane-Poole : Mediaeval India under Mohammedan rule A. D. 712-1764 Illustrated Edition, A universal Publication, London 1971. P. 97.

الرسائل، فضلا عن الوزراء والقضاة وولاة الأقاليم - الذين كانوا يلقبون بالأمراء، إلى جانب أرباب الوظائف الأخرى، ومن أهمهم وكيل دار السلطنة، ونائب وكيل دار السلطنة، وأمير حاجب.

وفضلا عن ذلك واستكمالا لإرساء قواعد النظام السياسي يعرض البحث لطرق محاسبة أصحاب المناصب العليا، والتابعين لهم وفقا لأسلوب رقابة صارم، ومتابعة دقيقة وضعها السلاطين لضمان سير أمور الدولة على أسس وتقاليد راسخة.

إلى جانب ذلك يتناول هذا الفصل السياسة الخارجية لدولة بني تغلق، التي تتجلى في حرص سلاطين بني تغلق على الحصول على تقليد بحكمهم من الخلفاء العباسيين لإضفاء الشرعية على حكمهم وزيادة نفوذهم بين رعاياهم، كما تتجلى في حرصهم على توطيد العلاقات الدولية من خلال تبادل السفارات مع ملوك وسلاطين الدول المعاصرة لهم.

أما الفصل الثاني فيتناول النظم الاجتماعية بالبحث في طبقات المجتمع التي كانت تتألف من الطبقة العليا ويمثلها الراجبوت، والطبقة الدنيا، طبقة السواد الأعظم التي يمثلها الشودرا أو الطبقة المنبوذة.

فضلا عن دراسة العناصر العرقية التي كانت تشكل المجتمع الهندي خلال عهد بني تغلق، ومن أهمها العرب والأفغان والترك والفرس، كما يعرض لتطور العلاقات بين هذه العناصر والتأثيرات المتبادلة فيما بينها، فضلا عن أثرها في صنع أحداث ذلك العصر. كما يعنى هذا الفصل بمظاهر الحياة الاجتماعية التي تتجلى في الاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية، وألوان الطعام وصنوفه ومراسم العرس والموت، ذلك أن سلاطين بني تغلق قد أولوا الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى اهتمامهم، فضلا عن الاحتفال برأس السنة الهجرية وليلة النصف من شعبان وحلول شهر رمضان المبارك، التي اتسمت فيها الاحتفالات بالأبهة والعظمة، وذلك لإدخال

السرور إلى قلوب المسلمين، وتجسيدا للخصوصية الدينية، ولما كانت المآدب والأسمطة تعد مظهرا من مظاهر هذه الاحتفالات، عني سلاطين بني تغلق بتنظيمها وتقسيمها إلى مآدب سلطانية وأخرى عامة.

أما مراسم الزواج وزيارة القبور، فتتجلى في تقاليد زواج الطبقة العليا ومايتميز به من مظاهر الزينة والبذخ، وزواج العامة الذي كان يتسم بالبساطة فضلا عن محاولة تقليد بعض مظاهر زواج الطبقة العليا، أما زيارة القبور فكانت تتم وفق طقوس خاصة اختلطت فيها بعض العادات الاجتماعية السيئة بتعاليم الدين الإسلامي، فقام سلاطين بني تغلق بالتصدي لهذه البدع والخرافات التي تخالف الشريعة الإسلامية في محاولة للقضاء عليها.

وفضلا عما سبق يعنى هذا الفصل بالبحث في المجالس الاجتماعية، فيعرض لمجالس العلم والأدب التي كانت تعقد في قصور السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة حيث يجتمع فيها العلماء والأدباء والفقهاء للمناقشة والمناظرة وإلقاء الأشعار، كما يعرض لمجالس الموسيقى والغناء، التي انتشرت في بلاد الهند على عهد بني تغلق، فكان للسلطان عدد كبير من الندماء والمغنين والموسيقيين، وانتقلت عادة الاهتمام بالموسيقى والطرب إلى الأمراء وكبار رجال الدولة فضلا عن الأثرياء الذين كانوا يمتلكون كثيرا من الحواري.

ويختتم البحث بالنتائج التي يمكن استخلاصها من ثنايا الدراسة والأسباب التي أدت إلى انهيار دولة بني تغلق وسقوطها من خلال دراسة تحليلية للعوامل الداخلية والخارجية التي أودت بحياة هذه الدولة، وقد ذيلت الدراسة بجدول تسلسل سلاطين بني تغلق وسني حكمهم فضلا عن قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

تمهيد : قيام دولة بني تغلق وتوطيد سلطانها

كان بنو تغلق عمالا وقوادا لدى سلاطين الدولة الخلجية (٣) - الذين حكموا بلاد الهند مايزيد على الثلاثين عاما (٦٨٩-٧٢١هـ/ ١٢٩٠-١٣٢١م) - وتفانى تغلق وبنوه في خدمتهم وعملوا بجد وإخلاص من أجل الحفاظ على كيان هذه الدولة ووحدتها، وظل الحال على ذلك حتى سنحت لهم الفرصة لوراثتها وإقامة الدولة التغلقية.

كانت الظروف التي أحاطت بالدولة الخلجية قد ساعدت غياث الدين تغلق على إقامة دولته وذلك لأنها تعرضت منذ قيامها للقلاقل والاضطرابات، في الداخل من جراء تنافس الأمراء والقواد للاستيلاء على عرش السلطنة، فضلا عن الأخطار الخارجية التي أحدقت بها وأدت إلى انهيارها وزوالها.

---

(٣) الخلجيون : يرجع نسب الخلجيين (بكسر الخاء) إلى قليج خان - أحد أصهار جنكيز خان، وخلج موطنهم الأصلي الذي يقع بالقرب من غزنة، وعرف أتباعه وورثته بالخلجيين، وظهر أمر الخلجيين في العهد الغوري، فقد نزلوا بجبال الغور بعد انتصارهم على شاه خوارزم، ولما اشتد أمرهم بالهندستان، ولآهم الأمير قطب الدين أيبك - نائب سلطان الغور في الهند، البنغال والأقاليم الشرقية بعد أن تم لمحمد بن بختيار الخلجي دخول عاصمة البنغال سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م، ولما قامت دولة المماليك بالهند وولي السلطنة شمس الدين التمش سنة ٦٠٧هـ/ ١٣١٠م، وولي الخلجيون الأمر في بهار والبنغال من قبل السلطان محمد الغوري، وظل الأمراء الخلجيون يتحينون الفرص من أجل الوصول إلى العرش حتى تمكنوا من الإطاحة بقيقباد - وكان حدثا صغير السن، واعتلى زعيمهم جلال الدين فيروز شاه عرش السلطنة سنة ٦٨٩هـ/ ١٣٩٠م.

_The New Encyclopedia Britannica, 15th ed., Printed in U.S.A., 1991, vol. 6, P. 829.

_ Ischwari Prasad, A short History of Moslem Rule in India, Allahabad, 1933, PP. 118-120.

_ Smith : The Oxford History of India from the earliest times to the end of 1911, Oxford, 1923, PP. 227-236.

فمنذ اعتلى السلطان جلال الدين فيروز شاه الخلجي عرش السلطنة، واجه كثيرا من الحركات الاستقلالية التي قام بها حكام أقاليم الدولة وعلى رأسهم ججو-حاكم إقليم كره (Kara) - وسار على نهجه حاكم مدينة رنتبهور (Ren-tabhour)[٤]، فأعلنا استقلالهما عن السلطنة، مما كان له أسوأ الأثر في وحدة الدولة وقوتها[٥].

إلا أن أهم الصعاب التي تعرض لها سلطان الدولة الخلجية تجلت في النزاع والصراع بين أبناء البيت الخلجي نفسه، حيث تآمر الأمير علاء الدين - حاكم إقليم كره - على عمه السلطان جلال الدين فيروز شاه وتخلص منه سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م[٦]. لم ينعم السلطان علاء الدين بعرش السلطنة فقد تعرضت دولته للأخطار الداخلية والخارجية، ومن أهمها استقلال أركان خان بن جلال الدين بإقليم الملتان[٧]، والاستيلاء على السند والبنجاب، فضلا عن قيام حكام أقاليم الدولة في مالوه وديوجير بخلع طاعة السلطان والاستقلال بأقاليمهم.

(٤) كره : يقال لها الكرج أو كهيدا، عاصمة إقليم الكجرات، من مدن الهند القديمة، وهي حاليا بليدة صغيرة بالقرب من مدينة أحمد آباد.
رنتبهور : يقال لها رنتبور، تقع في الاتجاه الجنوبي الغربي من العاصمة دهلي.
ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دراسة وتحقيق د. محمد سالم بن شديد العوفي، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، هامش ص ١٠٣-١٠٤.

(٥) أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، جزءان، مكتبة الآداب، القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ج١ ص ١٥٠.

(6) Lal : History of the Khaljis, A. D. 1290-1320, Allahabad, 1950, PP. 55-56.

(٧) الملتان : بالضم والسكون، مدينة من نواحي الهند قرب غزنة، كانت مركزا مشهورا للحجاج الهنود قبل الفتح الإسلامي، حيث كان بها الصنم المعروف بسومنان، وكان عند الهنود يحيي ويميت، ويفعل مايشاء ويحكم مايريد، وأنه إن شاء أبرأ جميع العلل، وكان في خدمته من البراهمة ألف رجل، يخدمونه، وثلاثمائة يحلقون رؤوس حجيجه ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون

كمـا أدى التنافس على حكم السلطنة إلى استـمرار الثـورات والفتن، فـتطلع كـافور - مولى السلطان - إلى السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد منتهزا فرصة اشتداد المرض بالسلطان، فحمله على كتابة وصية تتضمن وصايته على العرش (٨)، فلمـا توفي السلطان سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٦م (٩) أظهـر كـافـور الوصـيـة، وقـام بعـدة إجراءات تضمن له السيطرة على عرش السلطنة، فعمد إلى البطش والاستبداد بقتل معارضيه ونفيهم؛ من قواد الجيش والأمراء، فضلا عن مصادرة أعوان السلطان المتوفى وأنصاره، مما أدى إلى تذمر الناس وانتشار الثورات في أرجاء حاضرة الدولة، وانتهى الأمر بقيام فريق من جنده بالمسير إلى قصره والقبض عليه وقتله، ونودي بمبارك شاه - أحد أمراء البيت الخلجي - سلطانا سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٧م(١٠).

لم ينعم قطب الدين مبارك شاه بعرش السلطنة، ذلك أن وزيره خسرو خان دبر مؤامرة للتخلص منه والاستيلاء على السلطة، فعهد إلى أنصاره والتابعين له من جند الجيش بحراسة القصر والسلطان، وبعد أن تمت السيطرة عليه من خلالهم، أمرهم

ويرقصون عند بابه، ولما وصل المسلمون إلى القلعة وجدوها حصنا منيعا، ففتحوها في ثلاثة أيام، ثم دخلوا بيت الصنم،وحوله من الأصنام الذهبية المرصعة بالجواهر عدة كبيرة محيطة بعرشه، يزعمون أنها الملائكة. وأحرق المسلمون الصنم المذكور، فوجدوا في أذنه نيفا وثلاثين حلقة، يعتقدون أن كل حلقة عبادة ألف سنة. وبعد الفتح الإسلامي تم بناء حصن منيع مكانه، ويقع معسكر الأمير خارج الملتان بنحو نصف فرسخ، وكان الأمير لايدخل الملتان إلا يوم الجمعة، حيث يركب الفيل، ويدخل المدينة لصلاة الجمعة.

ياقوت : معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ،مجلد ٥ ص ص ٢٢٨-٢٣٨.

(8) Moreland and Chatterjee : A short History of India, Third Edition, New York, 1963, PP. 166-167.

(9) Majumdar : An Advanced History of India, London, 1948, P. 286.

(10) Moreland and Chatterjee : Op. Cit., P. 167.

بالتخلص منه فلقي مصيره سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م (١١)، وولي خسرو خان السلطنة ولقب نفسه ناصر الدين خسرو خان - وأمر بالدعوة له على المنابر بأمير المؤمنين(١٢).

كان لسياسة خسرو خان المعادية للإسلام في الهند أثرها في انهيار الدولة الخلجية وسقوطها، فعلى الرغم من الألقاب الإسلامية الرفيعة التي تلقب بها، ومن أهمها، الخليفة، والإمام، وأمير المؤمنين، وناصر الدين، إلا أنه أباح لكفار الهنود إظهار نحلهم القائمة على الوثنية والشرك، فقاموا بنصب أصنامهم، والاعتداء على المسلمين ومنعهم من تأدية شعائرهم الدينية وحدث ذلك تحت سمع هذا السلطان وبصره - الذي كان من أصل هندوكي وضيع (١٣).

لم يقف الأمراء المسلمون مكتوفي الأيدي إزاء بطش هذا الحاكم ووحشية أتباعه فأرسلوا القائد فخر الدين جونة إلى ديبالبور للاستنجاد بأبيه غازي تغلق - الذي هب على الفور وسار إليهم ملبيا النداء (١٤).

زحف غازي تغلق بجيش كبير نحو دهلي، وفي الطريق التقى بفريق من جند خسرو خان فانتصر عليهم وغنم أسلحتهم ومعداتهم الحربية، وقبيل وصوله حاضرة الدولة انضم إليه القائد بيرم خان بجيش الملتان، فلما اقترب من دهلي، خرج إليه خسرو خان على رأس جيشه، غير أنه مني بهزيمة ساحقة قتل على أثرها، وبذلك انتهى حكم الدولة الخلجية في بلاد الهند (١٥)، واعتلى تغلق عرش السلطنة بدهلي

(11) Smith : Op. Cit., P. 235

(١٢) محمد عبد المجيد العبد : الإسلام والدول الإسلامية في الهند، الطبعة الأولى، مطبعة الرغائب، القاهرة ١٩٣٩، ص ١٥.

(١٣) أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٦-١٦٧.

(14) - Lal : Op. Cit., P. 312., Lane - Poole : op. cit. P. 69.

(15) - A short History of Hind-Pakistan , Prepared by Pakistan History Board, Pakistan History Socity, Karachi, 1955, P. 145, Majumdar : O. P. Cit., PP. 315-316.

بعد أن استقبلته المدينة استقبالا حافلا ونادى به أهلها سلطانا في شعبان سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م وتلقب بغياث الدين تغلق شاه (١٦).

وجه تغلق شاه اهتمامه نحو توطيد سلطته في البلاد وإعادة هيبتها في الداخل والخارج، لما كانت تعانيه سلطنة دهلي من التفكك واستقلال ولاياتها، وضعف نفوذها في الأقاليم التابعة لها، فأنفذ ابنه الغ خان على رأس الجيش إلى المقاطعات الشرقية حيث استطاع استردادها وإعادتها إلى حظيرة السلطنة، كما اتجه جنوبا وقام بتوطيد سلطان الدولة هناك بعد أسر الأمير الهندوكي براتاب (١٧).

ولما فرغ السلطان تغلق شاه من توطيد سلطانه وإعادة هيبة الدولة وسيطرتها على الأطراف، وجه اهتمامه نحو تنظيم الإدارة الحكومية وتطهيرها مما لحق بها من الفساد خلال حكم مبارك شاه وخلفه خسرو خان، فضلا عن وضع الخطط الاقتصادية لإعادة الرخاء للبلاد التي خربتها الحرب الأهلية، غير أن القدر لم يمهله طويلا فقد لقي حتفه على أثر انهيار أحد القصور عليه سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، فخلفه ابنه الأمير الغ خان على عرش السلطنة، وتلقب بالسلطان أبي المجاهد فخر الدين محمد شاه تغلق (١٨).

لما ولي محمد شاه تغلق السلطنة تعرض سلطانه للخطر، حينما غزا تومشير بن

---

(16) Smith : Op. Cit., P. 236., Moreland and Chatterjee : Op. Cit., P. 167.

(17) Morel : A short History of India, London, 1890, P. 167.

أحمد محمود الساداتي : المرجع نفسه ج١ ص ١٧٠.

(١٨) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٦٥

Majumdar : Op. Cit., P.Ashort History of Hind-Pakistan, P. 147.

Lane - Poole : Op. Cit., P. 97.

خان ابن داود خان - زعيم قبائل الأولوس الجغتائيين (١٩) حدود الهندستان (٢٠) سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م على رأس جيش كبير، استطاع السلطان أن يجتاز هذا الخطر

---

(١٩) الجغتائيون : ينسب الجغتائيون إلى جغتاي بن جنكيز خان زعيم المغول، وكان جغتاي يرأس مجلس الأمراء المغول ، وقد اتخذ من المالق في الوادي الأعلى لنهر إلّي مركزا لحكومته، حيث كان ينشر بها قبائله وعشائره التي كان يعتمد عليها في حروبه، وأطلق هذا الاسم على المناطق التي كان يحكمها وعلى أهلها، فعرفت هذه البلاد جميعا باسم بلاد جغتاي، ولما كان يقطنها غالبية تركية، فقد عرفوا باسم الأتراك الجغتائيين، ومن بين قبائلهم قبائل الأولوس الجغتائيين، وكان المغول في الغالب على البوذية حتى اختلطوا بالترك وغيرهم من المسلمين في فتوحاتهم، فأسلم فريق كبير منهم على رأسهم الأمير بركة خان - حفيد باتو خان زعيم القبيلة الذهبية في القرن السابع الهجري، أما الجغتائيون فلم يبدأ إسلامهم الجماعي إلاّ في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

- Howorth, H., : History of the Mongols, 3 vols., London 1846, vol. 2, PP. 124-133.

أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج٢ ص ٣٤٦-٣٤٧.

* مما تجدر الإشارة إليه أن د. سعد زغلول عبد الحميد أثبت أن البوذية التي تعد من الديانات الفلسفية التي تحرم القتل وتستنكر أكل لحوم الحيوانات تعتبرمن وجهة النظر العلمية آخر مايناسب الترك من الديانات، وعلى ذلك فقد كانوا يعتقدون في السمنية وألوهية السماء والعناصر. للمزيد يرجى الاطلاع على ذلك البحث المهم القيم لسيادته عن الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط. انظر

* سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر - العدد الثاني (يوليو أغسطس سبتمبر ١٩٧٩م)، دولة الكويت، ص ص ٣٩٥-٤٥٢.

ونظرا لأهمية هذا البحث القيم أعيد نشره في المختار من عالم الفكر (١) - وزارة الإعلام - الكويت ١٩٨٤ص ص ١٤٥-٢٠٢.

(٢٠) الهندستان : المنطقة الممتدة من البنجاب إلى البنغال ومن جبال الهملايا إلى تلال الوندهايا، ويجري في شمالها نهرا السند والكنج اللذان يستمدان ماءهما من ثلوج الهمالايا،

- The Cambridge History of India, 5 vols.,
Cambridge, 1922-1929, vol. 3, PP. 115-116.

Ischwari prasad : Op., Cit., P. 210.

دون عناء كبير، فأوفد سفارة من كبار رجال دولته محملين بالهدايا والأموال إلى تومشير، وقد نجحت هذه السفارة في إقصاء تومشير عن عزمه، مما أتاح للسلطان محمد شاه الفرصة للتفرغ للإصلاحات الداخلية، فأمر بشق الطرق من الشمال إلى الجنوب، وتوفير المؤن ووسائل النقل لسكان العاصمة مما أكسبه محبة الناس، وفضلا عن ذلك استقدم طائفة من الخبراء من كافة أنحاء العالم، في مختلف أفرع النظم الحضارية، وأجزل لهم العطاء لتنفيذ مشروعاته الخاصة بإعادة الأمن والاستقرار في ربوع البلاد، وتحديث حاضرة السلطنة وتطويرها، فأمست قبلة للوافدين من الملوك والسلاطين والعلماء وكبار رجال الدين من شتى أرجاء العالم الإسلامي.

الفصل الأول
النظم والأحوال السياسية

١ - السلطان

٢ - أصحاب المناصب العليا

٣- موظفو دار السلطنة ورؤساء الدواوين

٤ - السياسة الخارجية

الفصل الأول

النظم والأحوال السياسية

اتخذ الملوك والسلاطين من دهلي (٢١) حاضرة لحكم بلاد الهند، فاهتم آل تغلق بعد أن آلت إليهم مقاليد الأمور بتوسيع العاصمة وإنشاء الأحياء وتشييد الضواحي الجديدة (٢٢)، فمن ذلك أن السلطان تغلق شاه قام ببناء ضاحية تغلق آباد، والسلطان محمد شاه تغلق ضاحية جهان وأضاف فيروز شاه مدينة فيروز آباد.

وقام السلاطين بتوسيع أسوار الحاضرة مع كل إضافة جديدة حتى تدخل ضمن نظام الحراسات، كما اهتم بنو تغلق بتنظيم الحراسات لحماية دهلي، فبنيت مساكن الحرس ومخازن الأسلحة والمؤن والعتاد إزاء السور، فضلا عن توزيع الدوريات على الأبراج العالية الموزعة على محيط السور، كما تركت مساحات من الأرض المحيطة بسور المدينة من الداخل والخارج كنطاقات أمن، بها بعض الحراسات للإنذار المبكر، وتم بناء ثمانية وعشرين بابا، يتم إغلاقها ليلا مع غروب الشمس حتى تسهل السيطرة والتحكم وضبط الحراسات (٢٣).

---

(٢١) دهلي : أو دلهي، عاصمة الهند في عصور مختلفة، ويطلق اسم دهلي على عدة مدن أقيمت في مواقع متجاورة على الضفة اليمنى لنهر جمنة قبل التقائه بالكنج، وظلت دهلي عاصمة للهنادكة، حتى قام قطب الدين أيبك - قائد السلطان محمد الغوري - بفتحها سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٤م. حاول السلطان محمد شاه تغلق نقل العاصمة إلى ديوكر، لكنه لم يكمل المحاولة، وأقام ضاحية بالقرب من دهلي دعاها جهان، ثم أقام فيروز شاه مدينة أخرى بجوارها، أما دلهي الحديثة أو نيودلهي التي تطل على نهر. جمنة فأعلنت عاصمة للهند البريطانية بعد انتقالها من مدينة كلكتا.

Majumdar : OP. Cit., P. 167.

(٢٢) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي - مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، المجلد الثاني، ص ٣٩٩-٤٠١.

(٢٣) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٢٧-١٢٨ .

Vidya Dhar Mahajan : OP. Cit., P. 167.

أما دار السلطنة فكانت مثالا للعظمة والأبهة التي كان يعيش فيها وينعم بها السلطان، فكان لقصر السلطنة عدة أبواب، يقوم عليها جملة من الرجال موكلون بها، فضلا عن الحراس وحاملي الأبواق والطبول، فإذا قدم أمير أو كبير ضربوها، وكان بخارج الباب الأول المعروف بباب المشور (مجلس السلطان) مجموعة دكاكين يقعد عليها الجلادون من القائمين على تنفيذ الأحكام التي يصدرها السلطان، وبين البابين الأول والثاني يجلس أهل النوبة من حفاظ الأبواب، وبين الثاني والثالث دكانة كبيرة عليها نقيب النقباء، وبين يديه عمود من الذهب وعلى رأسه عمامة مذهبة في أعلاها ريش الطواويس، والنقباء بين يديه على رأس كل واحد منهم عمامة مذهبة، وفي يده سوط مقبضه من الذهب أو الفضة (٢٤).

وكان يلحق بقصر السلطنة عدة قصور ومنازل لسكن حريم السلطان، ومقاصير جواريه، وبيوت خدمه ومماليكه، وكانت منطقة القصور خاصة بالسلطان لايسكن معه أحد من القادة العظام أو الأمراء (٢٥).

فضلا عن ذلك أقام السلطان محمد تغلق شاه عددا من ال«كارخانات» أي المصانع، لكي تزود القصر وملحقاته، ومختلف الأقسام الحكومية بالأغذية والمؤن والأدوات (٢٦) والخلع الكساوي التي تنتج في دار الطراز وهي تختص بتزويد القصور السلطانية بكل ماتحتاج إليه من الملابس والثياب الحريرية والمطرزة بخيوط الذهب والفضة.

---

(٢٤) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٦٥-٤٦٦.

(٢٥) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٢٦) يوسف حسين خان : نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى، مجلة ثقافة الهند، دلهي، أبريل سنة ١٩٦١م، مجلد ٢، عدد٢، ص ٦٦.

١ - السلطان :

كان السلطان [٢٧] هو الحاكم المطلق في الدولة فهو مصدر السلطات، والقائد الأعلى للجيش، والمتصرف في كافة شئون الدولة وأحوالها، بيده تعيين ولاة الأقاليم، والوزراء وأصحاب الدواوين، وكبار رجال الدولة.

كان السلطان يعقد مجلسا له بعد العصر لمباشرة أمور السلطنة والنظر في أحوال الناس اليومية، وربما جلس أول النهار، وكان يجلس على مصطبة مفروشة بالبياض فوقها مرتبة، ويجعل خلف ظهره مخدة كبيرة، وعن يمينه متكأ وعن يساره مثل ذلك، وطريقة قعوده تشبه الإنسان الجالس للتشهد في الصلاة، فإذا جلس وقف أمامه الوزير، ووقف الكتاب خلف وزيرهم، وخلفهم الحجاب على قدر درجاتهم وقربهم من السلطان، ويتلو الحجاب النقباء وهم نحو مائة، أما السلحدارية وهم الجند الشاكون في السلاح، فكانوا يتوزعون عن يمينه ويساره بأيديهم السيوف والقسي، قال القلقشندي : «وكلهم بالخيل المسومة والسلاح الفائق، والتجمل الظاهر»[٢٨].

كما كان يحضر مجلس السلطان المعتاد قاضي القضاة، ويليه خطيب الخطباء، ثم سائر القضاة وكبار الشرفاء، ثم المشايخ، وكان يحيط بالسلطان في مجلسه، إخوة السلطان وأصهاره، والأمراء الكبار، وكبار الأعزة (الغرباء) [٢٩]، فالقواد.

---

(٢٧) كان محمود بن سبكتكين الغزنوي أول من لقب بالسلطان في الدولة الإسلامية، ولم يُدْعَ أحد من الحكام قبله بهذا اللقب، وورد لقب السلطان الأعظم ضمن ألقاب محمود الغزنوي في نص تذكاري مؤرخ ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م على برج محمود بغزنة.

حسن الباشا : الألقاب الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧،ص ٣٢٤، ص ٣٣٠.

(٢٨) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤جزءا، القاهرة، ١٩١٣-١٩١٧م، ج٥ ص ٩٦.

(٢٩) الأعزة : كان السلطان محمد شاه تغلق محبا للغرباء، كثير الإكرام لهم، يحبهم ويخصهم بالمراتب الرفيعة، وقد أمر أن يسموا الأعزاء بدلا من الغرباء تكريما لهم واحتراما.

محمود الشرقاوي : رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦، ص ٢١٣.

إلى جانب ذلك كان يؤتى إلى المجلس بستين فرسا مسرجة ملجمة مجهزة بجهازات سلطانية، فمنها ما هو من الحرير الأسود المذهب، ومنها ماهو من الحرير الأبيض المذهب، فيقف النصف من هذه الخيل عن اليمين، والنصف الآخر عن الشمال، بحيث يراها السلطان، ثم يؤتى بخمسين فيلا مزينة بثياب الحرير المذهب، وعلى عنق كل فيل ما يشبه الصندوق يسع عشرين من المقاتلة، وتلك الفيلة مدربة لأن تخدم السلطان (تحط رؤوسها)، ويقف عبيد السلطان وراءهم وبأيديهم التروس والسيوف (٣٠).

كان مجلس السلطان يبدأ بدق الرهجيات (٣١)، وكانت فرق الرهجيات تتألف من حاملي النقارات (٣٢)، والكوسات الكبار (٣٣)، والأبواق(٣٤)، والصنوج(٣٥)، وتقوم هذه الفرق بضرب الإيقاعات الموسيقية الخاصة بتحية السلطان عند وصوله إلى المجلس، وإيذانا باستعداد السلطان لاستقبال أصحاب الشكايات والحاجات.

كان الحجاب يقدمون القصص (الشكايات)، فقد كان لكل طائفة حاجب يرفع قصصهم وحاجاتهم على يده، ويتقدم جميع الحجاب بالقصص إلى الحاجب الخاص المقدم على الكل فيعرضها على السلطان، ثم إذا قام السلطان جلس إلى كاتب السر فأدى إليه الرسائل بما رسمه السلطان في ذلك فينفذها، ثم إذا قام السلطان من المجلس، جلس مجلس الخاصة، واستدعى العلماء فيحضر من له عادة فيجالسهم، ويؤانسهم ويأكل معهم، ويتحدث معهم (٣٦).

---

(٣٠) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص٤٦٧.

(٣١) الرهجيات: الإيقاعات الموسيقية التي كانت تضرب للعظماء.

(٣٢) النقارات : مفردها نقارة، عصا تتخذ من الجلد يضرب بها على الآلات.

(٣٣) الكوسات : صنوجات من النحاس تشبه الترس الصغير ويدق بإحداها على الأخرى.

(٣٤) الأبواق : ماينفخ فيها لإعلان النفير في العسكر، وإرهاب الأعداء، ووصول الحكام.

(٣٥) الصنوج : صفائح مدورة تتخذ من النحاس الأصفر الرقيق على هيئة لوحين مستديرين قطر كل منها نحو ٣٠ سم.

(٣٦) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ص ١٨٢-١٨٤.

كما كانت الاستعدادات الرسمية تتخذ للاحتفال بعودة السلطان من أسفاره، فكانت الفيلة تزين بالحرير، المنسوج بالذهب المرصع، فضلا عن القباب المصنوعة من الخشب المكساة بثياب الحرير وفي وسط كل قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملوء بماء الجلاب محلولا بالماء، ويكون مابين القباب مفروشا بثياب الحرير، يطأ عليها موكب السلطان، وتزين أيضا جدران الشوارع التي يمر بها موكب السلطان ويمشي أمامه العساكر والعبيد من حين دخول السلطان دهلي حتى وصوله إلى دار السلطنة (٣٧).

٢- أصحاب المناصب العليا :

أ - نائب السلطنة والمشرف عليها :

يعد منصب نائب السلطنة في عهد بني تغلق من أرفع المناصب الإدارية، وهو من أرباب السيوف - الذي كان يطلق عليه لقب كبير الحجاب، وكان النائب يقوم بمهام السلطان في عامة أموره، أو فيما يعهد له به من اختصاصات. وأطلق هذا اللقب على من ينوب عن السلطان سواء كان بحضرته أو كان خارجا عنها، ولذلك كان يعد الولاة نوابا عن السلطان في ولاياتهم.

كان لطبيعة الدولة الحربية وانشغال سلاطين بني تغلق بحروبهم ضد أعداء الدولة، والخارجين عن سلطانها واضطرارهم للخروج عن حاضرة السلطنة لفترات غير قصيرة، أن اقتضت الضرورة تعيين من ينوب عنهم للدفاع عن العاصمة والمحافظة على أمنها وسلامتها، فضلا عن إدارة أقاليم الدولة في حالة غياب السلطان (٣٨).

(٣٧) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٧١.

(٣٨) القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥ ص ٤٠٣.

كان نائب السلطنة يختار من الثقاة المقربين وبخاصة من أمراء البيت الحاكم، فكان محمد بن تغلق نائبا عن والده، ولما ولي محمد شاه تغلق السلطنة عهد بهذا المنصب لابن عمه فيروز ملك - الذي اضطلع بمهام السلطنة حينما اضطر محمد شاه للخروج على رأس الجيش إلى إقليم مير (Mere)* لتأديب حاكمها إحسان شاه عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م (٣٩)، ومن ناحية أخرى لما صار فيروز شاه سلطانا أسند هذا المنصب لحفيده غياث الدين بن فتح خاقان - الذي أدار شئون السلطنة عندما سار السلطان فيروز شاه إلى البنغال لإعادة حاكمها حاجي إلياس للولاء والطاعة.

لم تقتصر مهام نائب السلطنة على القيام بمهام السلطان حالة غيابه، بل كان يعاون السلطان في إدارة كافة شئونها، لذلك كان يقيم مع السلطان في دهلي ويحضر معه التواقيع وإصدار المناشير، وفضلا عن ذلك كان النائب على اتصال دائم بولاة الأقاليم لحثهم على إرسال فائض أموال الخراج، والاهتمام بحراسة الثغور التابعة لهم للمحافظة على أمن الدولة، وإرسال فرق الجند المقررة عليهم إلى حاضرة الدولة.

كما كان النائب يقترح على السلطان أسماء من يتولون الوظائف العليا، كالوزراء والقضاة وأصحاب الدواوين، وأخذ موافقته على تعيينهم أو عزلهم بعد رفع الأمر للسلطان.

ومن ناحية أخرى كان النائب يحضر مجلس المظالم مع السلطان أو ينوب عنه كلية في النظر فيما يقدم إليه من القصص بشكايات الناس حالة أمر السلطان بتفويضه في ذلك.

كان نائب السلطنة يقوم بعرض الجيش في حالة الاستنفار العام قبل وصول السلطان، فضلا عن قيادته للفرق العسكرية للقضاء على حركات التمرد والثورة

* مير إقليم كبير يتميز بأراضيه الصحراوية الشاسعة، يقع إلى الشمال الشرقي من الحاضرة دهلي.

(39) Ischwari Prasad : OP. Cit., P 227-228.

وتأديب الخارجين على سلطان الدولة، فأنفذ السلطان تغلق شاه نائبه الأمير محمد بن تغلق لإعادة بلاد التلنك إلى حظيرة السلطنة، وبعث معه عسكرا عظيما فيه كبار الأمراء (٤٠)، كما خرج همايون بن محمد تغلق الثاني - نائب السلطنة على رأس فريق من الجيش لمحاربة أبي بكر التغلقي - الذي أظهر العصيان والخروج على الطاعة، فمازال به حتى أوقعه في الأسر سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م. (٤١)

تختلف اختصاصات المشرف على السلطنة عن نائب السلطنة، ذلك أن المشرف على السلطنة كان يرأس الجهاز السري للمخابرات لاكتشاف المؤامرات وحركات التمرد والخروج على السلطنة قبل وقوعها، كما يختص بحماية حريم السلطان حالة غيابه، وكان يتبعه جهاز قوي للجاسوسية يحيطه بكل أخبار موظفي الدولة، والجيش والبلاط، وحتى أقارب السلطان، فكانت اختصاصاته تنفيذية، بينما كانت إشرافية إدارية لنائب السلطنة (٤٢).

ب - الوزراء :

يعد منصب الوزير من أهم المناصب السياسية للدولة، وهو من أرباب السيف والقلم، وكان من كبار رجال السلطنة، يختص بكافة شئونها الداخلية، ومن أهمها الإشراف على الإيرادات، والمصروفات والنفقات، فضلا عن التحقق من فائض دخل ولايات السلطنة وبلدانها. وكان لطبيعة الدولة الحربية، وكثرة تعرضها للاعتداءات الخارجية أن اشترط في اختيار الوزير الكفاءة العسكرية والمهارة القتالية، فكان يعهد إليه قيادة الجيوش. فمن ذلك أن السلطان محمد شاه عهد لوزيره خواجة

---

(٤٠) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٦٠.

(41) Rawlinson : Op. Cit., P.244.

(42) Habibullah : The Foundation of Muslim Rule in India, 2nd rev. ed., Lahore 1961, p. 232.

جهان قيادة عسكر السلطان إلى إقليم كنبيلة (Kannpila) لإعادته إلى حظيرة السلطنة، كما أنفذه على رأس الجيش إلى مدينة كمال بور - التي كانت قد خرجت على طاعة السلطان (٤٣).

وكان السلطان يكافئ وزيره على قدر ما يبذله من همة في القضاء على فتن الخارجين على سلطانه، فأنعم السلطان محمود تغلق على وزيره وقائد جيوشه خواجة جهان سرور بلقب شاه شرقي (ملك الشرق) سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، وعهد إليه بحكم الأراضي الواقعة بين قنوج (Kanauj) وبهار (Bahar) (٤٤).

ومن ناحية أخرى كان يعهد إلى الوزير الإشراف على حكومات الولايات وتقوية الأجهزة العسكرية للدولة، ووضع النظم والضوابط التي تسهل تسيير أمور السلطنة بكفاءة عالية. ويعد الوزير مقبول خان - وزير السلطان فيروز شاه - من أكفاء وزراء بني تغلق، فكان إداريا حازما، يرجع إليه الفضل في كثير من الإنجازات التي تحققت في عهد هذا السلطان، فمن بينها تحويل رواتب الجند من الإقطاعات العسكرية إلى معاشات ثابتة تصرف من خزانة الدولة، مما كان له أثر طيب في زيادة ولائهم للحكومة. وبفضل سياساته الإيجابية، أكسب السلطان محبة الناس وبخاصة أنه كان يرسل الإعانات للمتضررين، ومنع تعذيب وإيذاء المتهمين والمساجين - الذي كان سائدا في السلطنة من قبل (٤٥).

كان يتبع الوزير ديوان الوزارة - الذي يضم عددا كبيرا من الموظفين والكتبة،

---

(٤٣) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٩٥.

قنوج : تقع إلى الشمال من مدينة فيروز أباد.

بهار : إقليم كبير يقع جنوب جبال الهمالايا، عاصمته درنجا،انظر الخريطة.

(44) Majumdar : OP. Cit., pp. 327-328.

(45) Rawlinson : A Short Culural History of India New York, 1943, pp. 285-286.

فمن بينهم المشرف - الذي كان يعهد إليه التحقق من أوجه النفقات، والناظر المختص بفحص التقارير، والمراقبون والمشرفون الماليون - المختصون بتقدير وجمع الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية وغيرها، وكان يُعيَّن لكل وزير نائب يتولى مهامه حالة غيابه، وفي بعض الأحيان كان يصحب الوزير أثناء تنفيذ المهام المكلف بها خارج حاضرة الدولة. فمن ذلك أن محمداً بن النجيب - نائب الوزير خواجة جهان (٤٦) كان قد خرج إلى لاهور (٤٧) برفقة الوزير على رأس الجيش لإخماد ثورة هلاجون - أمير مدينة لاهور - الذي كان قد خلع طاعة السلطان وادعى الملك.

جـ - ولاة الأقاليم :

كانت دولة بني تغلق مترامية الأطراف تتوسطها الحاضرة دهلي، بينما تضم المنطقة الشمالية منها هانسي (حانسي) وبتيالا، ولاهور، والبنجاب وإسلام أباد وسرنيجار وسملا. وتضم المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية الدوءاب، وعليكرة، وقنوج، وأجرا، وبرتان، ولخناوتي، وبيهار، وجايا، ولكنو، وجوالبور، وكلنجر، وهوجلي،والله أباد. أما المنطقة الغربية والجنوبية الغربية من الحاضرة فتضم كلا من فاتح بور، وجايبور، وراجبوتانا، وبهاولبور، وحيدر أباد، وميور، وملوه (ملاوة)، وكنباية، وستبور، ومهارشترا،وسمنات، وتقع إلى الجنوب منها كرة، ومهبرا، ولشكر، وبهوبال (٤٨).

كان تعيين ولاة الأقاليم على عهد بني تغلق يتم وفق تقاليد مضبوطة محكمة

(٤٦) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٩٩.

Munshi : OP. Cit., P. 197.

(٤٧) لاهور : مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند، تقع في الوقت الحاضر شمالي باكستان.

جوستاف لوبون : حضارة الهند، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٤٨، ص ١٣٧.

(٤٨) ابن فضل الله العمري: المصدر نفسه ص ١٠١ - ١٠٥.

أرسى دعائمها سلاطين هذه الدولة، فكان يتم تقليد الوالي بمرسوم يصدر عن دار السلطنة ومنحه لقب أمير، وخلعتين، خلعة للشتاء وخلعة للصيف، كما كان يتم تجديد التقليد له في كل عام، فيبعث السلطان مندوبا عنه ومعه الخلعتان، فإذا وصل إلى الإمارة خرج الأمير ووجوه عسكره للقائه، ثم ينزلون عن دوابهم، ويستلم الأمير التقليد والخلعتين ثم يؤدي التحية لجهة السلطان (٤٩).

كان ولاة الأقاليم يقيمون في ولاياتهم، وأحيانا يفضلون الإقامة في دهلي، ويرسلون نوابا عنهم لإدارة ولاياتهم، ولم يكن السلطان يتدخل في إدارة الولايات مادامت الطاعة له مستمرة، وكذلك الولاء للسلطنة، وعلى ذلك كان الحكم لا مركزيا، فاستقل كل أمير بشئون ولايته.

كانت سياسة بني تغلق إزاء ولاة الأقاليم تقوم على منح كل وال منهم الحرية في تعيين العمال على المدن والنواحي والقرى الداخلة في نطاق ولايته، كما أجازوا لهم العناية بمرافق أقاليمهم دون الرجوع إلى الحكومة، وكان يتبع كلَّ وال جهاز الإدارة المحلي الذي يتألف من عدة دواوين تعاون الوالي في الاضطلاع بالمهام المنوطة به، ومن أهمها جباية الأموال وإنفاقها على شئون الولاية وإرسال الفائض إلى حاضرة الدولة، فضلا عن تجهيز بعض فرق الجند وإنفاذها إلى حاضرة السلطنة لتدعيم الجيش السلطاني.

كان من عادة سلاطين الهند أن يجعلوا مع كل أمير مملوكا يكون عينا عليه، يعرف السلطان بواسطته جميع أحوال الإمارة، وذلك لحرصهم على استقرار الولايات وولاء وطاعة ولاتها، كما استخدموا الجواري في الدور ليكن عيونا لهم على أمرائهم، ونسوة تسمى الكناسات يدخلن الدور بلا استئذان، فتخبرهن الجواري، بما لديهن من أخبار. وكانت تقارير العيون ترسل إلى رئيس المخبرين -

(٤٩) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٠٩.

الذي يقوم بتجميعها وإنفاذها إلى المشرف على السلطنة رأس الجهاز السري للسلطنة(٥٠).

لم تقتصر مهمة الرقابة على ولاة الأقاليم على العيون والكناسات، وإنما كان يعاونهم طائفة سرية من الثقاة المدربين يسمون المنهين (٥١) يخالطونهم، فإذا علموا مايجب إنهاؤه إلى السلطان أنهوه إليه، وهو المشرف على السلطنة الذي يقوم رئيسهم الأعلى بدوره بعرضها على السلطان.

فلما أراد الشريف إبراهيم بن جلال الدين أحسن شاه - والي حانسي وسرستي - الخروج على طاعة السلطان وطمع في الاستيلاء على السلطنة بسبب مرض السلطان، وصلت الأخبار إلى دار السلطنة بواسطة المنهين، وعلى الرغم من وصول هذا الوالي إلى حاضرة السلطنة لتقديم التهاني بشفاء السلطان، إلا أنه لقي مصيره بعد القبض عليه ومواجهته بتلك المؤامرة (٥٢).

أدت السياسة اللامركزية التي اتبعها سلاطين بني تغلق مع حكام الولايات إلى استغلالهم فترات ضعف السلطنة أو تعرضها للأزمات والصعاب، للانفصال عن سلطة دهلي والاستقلال بولاياتهم.

فلما بعث السلطان محمد شاه تغلق بحملة قوية إلى ولايات الهملايا العليا من أجل تأمين الطرق والدروب إلى خراسان دهمتها الثلوج فقضت على كثير من أفرادها(٥٣)، وأدى فشل حملة الهملايا وضعف الجيش إلى قيام الأمير جلال الدين إحسان شاه حاكم مير بالدكن إلى شق عصا الطاعة واستقلاله بإمارته، ولم يكتف

(50) Qureshi : The Administration of the Sultanat of Delhi, Lahore, 1942, pp.42-43.

(٥١) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٨٨.

(٥٢) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ص ٥٠٠، ٥٠٨.

(٥٣) أحمد محمود الساداتي : المرجع نفسه، ج١ ص ١٧٨.

بذلك بل قام بضرب النقود باسمه عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م، ولما أراد محمد شاه إعادة هذا الأمير إلى الولاء والطاعة خرج إليه على رأس الجيش لتأديبه، لكن الجيش تعرض لوباء الكوليرا مما قضى على كثير من جنده فعاد أدراجه إلى دهلي (٥٤).

ومن ناحية أخرى قامت الثورات والفتن في البنغال، فهاجم القائد فخر الدين، الأمير قدر خان - حاكم لكهناوتي من قبل السلطان، فقتله واعتلى كرسي الحكم ثم أعلن استقلاله منتهزا فرصة انشغال السلطان بالمحن والمتاعب التي كان يعانيها أواخر عهده بالسلطنة.

كما عادت الدكن إلى المجاهرة بالثورة على سلطنة محمد شاه مما أغرى بعض الأمراء الآخرين بتقليدها، فقام الأمير الهندوكي هاري هارا بخلع طاعة السلطان وتأسيس إمارة فيايانكر، وانضم إليه كرشاناياك - زعيم الهندوك بالجنوب، وصاروا يشكلون عقبة كؤودا في وجه أي تقدم يفد إليهم من الشمال (٥٥).

كذلك تعرضت الكجرات وديوكر (دولة أباد) للاضطراب فنهض أميرها الأفغاني حسن كانكوي واستقل بها سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، وأعلن نفسه سلطانا على سلطنة بهمن الدكنية وتلقب بعلاء الدين بن المظفر.

لما توفي محمد شاه تغلق سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م خلال إحدى حملاته في السند(٥٦)، انتهز حاجي إلياس حاكم البنغال هذه الفرصة وأعلن استقلاله، ولقب نفسه بالسلطان شمس الدين، ولم يكتف بذلك بل استولى على بعض مدن إقليم بهار حتى بلغت قواته بنارس، وحصن أكداله، لذلك عزم السلطان فيروز شاه الذي ولي السلطنة خلفا لمحمد شاه تغلق على استرداد أقاليم دولته وتأديب شمس الدين،

(54) Ishwari Prasad : A Short History of Muslim Rule in India, PP. 227-228.
(55) Agha Mahdi Hussain : OP. Cit., PP. 284-285.
(56) Lane - Pool : Mediaeval India, PP. 298-299.

فخرج على رأس الجيش إلى ضفاف الكنج. وعلى الرغم من المعارك التي دارت بين الطرفين عند ضفاف الكنج بالقرب من حصن أكداله، إلا أن فيروز شاه آثر المصالحة والعودة إلى حاضرة السلطنة (٥٧).

د - القضاة :

حظي القضاء باهتمام سلاطين بني تغلق ورعايتهم، فكان السلطان يعين بنفسه قاضي القضاة الذي كان يختاره من علماء الفقه أو التشريع، فعين السلطان محمد شاه تغلق، الفقيه الإمام العلامة كمال الدين محمد الغزنوي في منصب قاضي قضاة الهند والسند، وكان قاضي القضاة يعين بدوره قضاة الأقاليم، عدا قاضي دهلي الذي يعين من قبل السلطان. وكان ذلك يتم وفقا للمراسم السلطانية الخاصة بتعيين القضاة، فلما قرر السلطان محمد شاه تغلق تقليد ابن بطوطة (٥٨) منصب القضاء

(57) Ishwari Prasad : OP. Cit., P. 277.
Mahajan : OP. Cit., PP. 193- 194.

(٥٨) ابن بطوطة : هو محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ولد في مدينة طنجة سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م وهو من قبيلة لواتة (إحدى قبائل البربر)، وعندما شارف الحادية والعشرين من العمر، عزم على السفر بغية حج بيت الله الحرام، فانطلق في رحلة عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٦م، فزار شمال أفريقيا ومصر العليا فالبحر الأحمر، ثم وصل مكة عن طريق الشام وفلسطين، وحج ثم انطلق إلى جنوب بلاد العرب وأفريقيا الشرقية والخليج العربي، ثم رجع مكة، ثم زار آسيا الصغرى، وزار القسطنطينية، ثم اخترق خوارزم وبخارى وأفغانستان، واتجه إلى الهند حيث أقام بها فترة طويلة نحو ثماني سنوات ٧٣٤-٧٤٢هـ/ ١٣٣٣ - ١٣٤٢م ولي خلالها القضاء في دهلي، ثم أرسله السلطان محمد شاه تغلق في سفارة إلى الصين، فوصل جزر الملديف حيث ولي القضاء مدة عام ونصف، ثم اتجه إلى الصين عن طريق جزيرة سيلان، ثم اتجه إلى بلاد العرب عن طريق جزيرة سومطرة فنزل ظفار، ثم زار مكة وشمال أفريقيا ووصل فاس عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، وبعد رحلة دامت زهاء ثلاثين سنة اتصل خلالها بكثير من الملوك والأمراء والعلماء، عاد إلى المغرب بناء على طلب السلطان أبي عثمان المريني سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، الذي أوعز له بكتابة رحلته، فكان الفراغ من كتابتها في الثالث من ذي الحجة سنة ٧٥٦هـ/ الموافق التاسع من ديسمبر ١٣٥٥م، وسماها «تحفة النظار في غرائب

على دهلي استدعاه ليلقاه على سطح قصره، وكان قد حضر مع السلطان كبير الخاصة، فلما دخل قال له كبير الخاصة : «احترم» - أي أدِّ التحية للسلطان فقد جعلك قاضي الملك في عاصمته (دهلي)، وفرض لك اثني عشر ألف دينار ذهبا في كل سنة تأخذها من خزانة السلطان، وأهداك فرسا مسرجا ملجما، وخلعة من خلع السلطان في صدرها وظهرها شكل محراب، فلما قام ابن بطوطة بالتحية، أخذ كبير

الأمصار وعجائب الأسفار»، وتوفي ابن بطوطة سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، وضريحه في مسجد صغير قرب سوق آحرضان في طنجة، ومن الجدير بالذكر أن النسخ التي وصلت إلينا خطها ابن جزيء الكلبي، وهو محمد بن محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي (شاعر من كتاب الدواوين السلطانية، أندلسي، من أهل غرناطة، انتقل إلى المغرب فأقام بفاس عند ملكها المتوكل على الله أبي عنان المريني وتوفي بها سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م).

حظيت رحلة ابن بطوطة باهتمام الباحثين العرب والمستشرقين على حد سواء، الذين عكفوا على دراستها بعناية وشهدوا لابن بطوطة بالصدق والأمانة والتوثيق من بينهم، د. زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف ١٩٤٥، شاكر خصباك : ابن بطوطة ورحلته، دار الآداب، بيروت ١٩٧٠، وكراتشوفسكي الذي وصفه بأنه : آخر جغرافي عالمي من الناحية العملية، ويقول كلما تعرضت الأجزاء المختلفة من وصف رحلته لدراسة دقيقة مفصلة كلما زادت الثقة في صدق روايته : تاريخ الأدب العربي الجغرافي، ترجمة الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم، ص ٤٢٦.

Munshi : The Struggle for Empire / Bombay 1969,. PP. 120-134.

Ischwari Prasad : A short History of Moslim Rule in India, Allahabad, 1933, PP.118 - 120.

ويقول Majumdar في معرض حديثه عن المصادر المعاصرة للفقرة موضوع البحث :

" The work of the African traveller, Ibn Batutah, is also of great importance for the history of this period, He came to India in September, A. D. 1333, and was hospitably received by the Delhi Sultan Who appointed him Chief Qazi of Delhi.

Mujumdar : OP. Cit., P. 317.

كما توجد لابن بطوطة ترجمة كاملة في دائرة المعارف البريطانية الحديثة.

The New Encyclopedia Britannica, 15th Edition Printed in U.S.A., 1991, Volume 6, pp. 218-219.

الخاصة بيده، وتقدم به إلى السلطان، فقال السلطان : «أنت عندنا بمقام الوالد»، فأجاب ابن بطوطة : «بل عبدكم وخديمكم»، فرد السلطان : «بل أنت سيدنا ومخدومنا»، ولما كان ابن بطوطة مالكي المذهب، وأهل دهلي على مذهب أبي حنيفة فأمر له السلطان بنائبين يشاورانه (٥٩).

كان لاهتمام السلاطين بالقضاء أن حرص السلطان محمد شاه تغلق على حضور بعض القضايا الهامة التي تنظر في المحاكم العلنية، وبخاصة المظالم التي ترفع إليه إن كان هو طرفا فيها، وذلك حتى ينال كل مواطن حقه العادل. وليس أدل على ذلك من أن هنديا من رعايا السلطان، أقام عليه الدعوى بأنه قتل أخاه من غير ذنب، ورفع دعواه إلى القاضي، فطلب القاضي من السلطان نظر تلك الدعوى، فنزل السلطان، وذهب إلى القاضي ماشيا على قدميه لايحمل سلاحا(٦٠)، فلما دخل مجلس القاضي، سلم عليه وحيّاه، ولم يقم له القاضي لأن السلطان محمد شاه تغلق كان قد أمره بألاّ يقوم ولايتحرك، وسمع السلطان دعوى الرجل، ومناقشة القاضي - الذي أصدر حكما ضد السلطان، وكان الحكم يقضي بالدية عليه لأهل المقتول، فلما انتهى المجلس دفع ماأمر به القاضي (٦١).

كان يعاون القضاة في مهامهم المفتون، وهم من علماء الفقه والتشريع وبخاصة في القضايا المعقدة التي تحتاج إلى اجتهاد وقياس، ومن ناحية أخرى كان يعهد لقادة الجيوش الفصل في القضايا التي تعرض عليهم في ميادين القتال.

كان الحكم في القضايا المختلفة يتم وفقا للشريعة الإسلامية من الناحية الرسمية، غير أن بعض العقوبات التي يتم تنفيذها كانت قاسية شديدة فمنها بتر

(٥٩) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٢٤-٥٢٥.

(60) Mahajan : OP. Cit., P. 161.
Majumdar : OP. Cit., P. 317.

(٦١) بن بطوطة : المصدر نفسه، ص ص ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٨.

الأطراف، والجلد حتى الموت، وفصل الجلد عن الجسم (السلخ) بخاصة في حالة تفشي ظاهرة إجرامية في المجتمع، فكان التاجر الذي يتلاعب في وزن السلع أو غشها، يعاقب بقطع بعض أعضاء جسمه، وكانت يد السارق أو رأس المقتول توضع في مكان عام (٦٢).

كان السلطان يجلس بنفسه للنظر في المظالم يومين في كل أسبوع، وفي هذا المجلس لايقف بين يديه إلا أمير واحد وحاجب، ولايمنع أحد من الدخول عليه، ويجلس على بابه أربعة أمراء ينفذون الأحكام التي يصدرها، وفي الأيام الأخرى ترفع إليه الأحكام بعد كل عشاء للتصديق عليها (٦٣).

٣- موظفو دار السلطنة ورؤساء الدواوين :

أ- وكيل دار السلطنة ونائبه :

كان وكيل دار السلطنة يختار من الثقاة المقربين، فقد كان يعهد إليه حفظ مفاتيح بوابات القصر السلطاني، ورئاسة موظفيه، فضلا عن الإشراف على توزيع رواتب العاملين بالقصر، ومباشرة شئون تعليم أطفال البيت الحاكم وتثقيفهم وهو المسئول عن ضبط مرافق القصر المختلفة وإداراتها، مثل المطبخ ومخازن المؤن والاصطبلات. كما كان يسند إليه تنظيم الحرس السلطاني وتفقد أعمالهم ونشاطاتهم، لذلك كان يشترط فيه أن يكون معروفا بالمهارة والذكاء والأمانة والكفاءة الإدارية (٦٤).

وكان لوكيل دار السلطنة نائب يعاونه من كبار الموظفين، فكان يرأس عددا من الموظفين المختصين بشئون البلاط، فمن بينهم المشرف على خيل السلطان، وملاحظ

(62) Mahajan : OP. Cit., P. 176.

(٦٣) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(٦٤) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

الفيلة، والمشرف على شئون الصيد الخاص بالسلطان، ومدير المطبخ السلطاني(٦٥)- الذي يعرف بشاشنكير، كما يتبعه الشربدارية (السقاة) وأمين مخزن الأسلحة، وحامل الأختام السلطانية - الذي يتبعه أصحاب الأختام كل في اختصاصه(٦٦).

ب - أمير حاجب :

كان أمير حاجب يلي وكيل دار السلطنة في الأهمية، وهو كبير أمناء القصر ويختص بالإعداد للمراسم السلطانية، والترتيبات للحفلات السلطانية الخاصة، وحفلات الاستقبال لضيوف القصر وتوديعهم، ومراسم تنصيب الوزراء، وكبار رجال الدولة.

كان يعاونه نائبه وعدد من الحجاب وكان يتبعه أيضا عدد من الكتاب يجلسون على أحد أبواب القصر، ويختصون بكتابة أسماء من يدخل على السلطان، ويمتد عملهم إلى آخر النهار، وترفع تقاريرهم إلى السلطان في كل يوم(٦٧)، ويعرف سجل أسماء زوار القصر السلطاني في الوقت الحاضر بدفتر التشريفات.

جـ - صاحب ديوان العارض :

يعد صاحب ديوان العارض من الوظائف الهامة في دار السلطنة، فهو يختص بشئون الجيش، التي تتجلى في تدبير نفقاته الحربية، وأرزاق الجند، وجمع الفرق العسكرية وإمدادها بالمؤن والعتاد وإعداد التقارير العسكرية، والتفتيش على وحدات الجيش وتفقد أسلحته. وكان صاحب ديوان العارض يتقدم الجيوش لتوصيلها إلى ميادين القتال، وأحيانا يرسل نائبا عنه. ومن ناحية أخرى كان يستقبل

---

(٦٥) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٩٩.

(٦٦) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ٤٩٦.

(٦٧) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٦٦-٤٦٧.

الفرق العسكرية التي يكلف السلطان ولاته بإرسالها إلى حاضرة الدولة، فهو بالجملة كان يكلف برعاية مصالح الجيش، والنظر في النفقات الحربية، ومعاشات الجند، ويعد قيران ملك صغدار من أشهر من ولي هذا المنصب من قبل السلطان محمد شاه تغلق (٦٨).

كان الجيش التغلقي يتألف من الأمراء وهم القادة، وطوائف الجند، ويتميز الأمراء بعضهم من بعض برتبهم في سلم التسلسل القيادي بالجيش، وكان أعلاهم قدرا الخانات (٦٩)، ثم الملوك، ثم الأمراء، فالأصفهسلارية (٧٠).

كما كانوا يتميزون بالعطاء الذي يحصلون عليه، فكان عطاء الخان لكين، كل لك مائة ألف تنكة، وللملك من ستين ألف تنكة إلى خمسين ألف تنكة، ولكل أمير من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة، والأصفهسلارية من عشرين ألف تنكة إلى خمسة عشر ألفا، وأما الجند فكان لكل جندي من عشرة آلاف تنكة إلى ألف تنكة (٧١)، وفضلا عن ذلك كانوا يحصلون على الأرزاق التي تتمثل في كساويهم، وعليق خيولهم وأفيالهم (٧٢).

وكان سلاطين بني تغلق لايألون جهدا في سبيل تجهيز جيوشهم بكل ما تحتاج

(٦٨) ابن بطوطة : المصدر نفسه : ص ٤٩٩.

(٦٩) الخانات لقب تركي، لقب به سلطان المغول في فارس والروم، وعرف في الدولة الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري، عندما دخل خانات التركستان في الإسلام وبدأوا احتكاكهم بالعالم الإسلامي، وظهر اللقب على سكة مؤرخة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م للأمير نصر بن علي.
حسن الباشا : الألقاب الإسلامية، ص ٢٧٤.

(٧٠) الأصفهسلارية : أو الاسفهسلارية، لقب عسكري معناه مقدم العسكر وهو مركب من لفظين فارسي، وتركي، (أسفة بالفارسية يعني المقدم، وسلار بالتركية بمعنى العسكر).
القلقشندي : صبح الأعشى، ج٦ ص ٧-٨.

(٧١) ابن فضل الله العمري : ص ١٣٢-١٣٣.

(٧٢) القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥ ص ٩٤.

إليه من أسلحة، فأنشأوا دورا لصناعة الأسلحة المختلفة (٧٣) التي كانت تنتج السيوف والقسي والرماح والزرد (٧٤) والصواغ (٧٥)، والبركصطوانات (٧٦) الحديد والمذهب، فضلا عن النشاب (٧٧) والتركاش (٧٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أن تعبئة الجيش كانت تتم وفق النظام الخماسي، حيث يقف السلطان في القلب تعلوه كوكبة من الأعلام السود العظام في أوساطها التنين ويظل رأس السلطان الجتر (٧٩)، وكان يحيط به في القلب الأئمة والعلماء وكبار مستشاريه، وفي المقدمة الرماة، وتمتد الميمنة والميسرة موصلة بالجناحين، في داخلهما تقف الفيلة وعليها الأبراج المشحونة بالمقاتلة، وكان في الأبراج منافذ لرمي النشاب، وفتحات لرمي قوارير النفط، وفيها أيضا الخيل تقاتل من حول الفيلة وورائها، بينما كانت المؤن واحتياط الأسلحة والعتاد في المؤخرة تحت حراسة جماعة من الرماة، وفريق من المشاة حملة السيوف (٨٠).

---

(٧٣) ابن فضل الله العمري : ص ١٢١-١٢٢،ص ١٤٥.

(٧٤) الزرد : حلق الدرع، والجمع زرود، ويقال لصانعها زراد (بالتشديد).

(٧٥) الصواغ : الشيء المصوغ، والصوغ ماصيغ.
ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٠ ص ٣٢٥.

(٧٦) البركصطوانات : لبوس للأفيال والخيل عند الحرب، ويقال لها بركستوانات مفردها بركستوان أو بركصطوان، وأغلبها مصنوع من الفولاذ، وقد حلت محل التجافيف - التي كان يصفح بها الخيل في الحروب.

(٧٧) النشاب : مايرمى به عن القسي الفارسية، ويقابلها النبل وهو مايرمى به عن القسي العربية.
القلقشندي : صبح الأعشى، ج٢ ص ١٣٢.

(٧٨) التركاش : الكنانة أو الجعبة التي توضع فيها النشاب.

(٧٩) الجتر : عبارة عن قبة أو مظلة ترفع فوق رأس السلطان خلال حروبه وأسفاره.
القلقشندي : صبح الأعشى، ج٤ ص ٧-٨.

(٨٠) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٧٧-١٧٨.

د - صاحب ديوان الإنشاء :

أما صاحب ديوان الإنشاء فكان يختص بتحرير المراسيم والأوامر السلطانية، فضلا عن إعداد وثائق التولية والعزل، والرسائل الرسمية - التي تصدر عن دار السلطنة لحكام الولايات، وسائر الموظفين، وكان يعاون صاحب ديوان الإنشاء عدد من الموظفين والكتاب، يشترط فيهم الدقة في التلخيص، والمهارة في قراءة الخطوط المختلفة، وحسن عرض الموضوعات، ومن أهمهم كاتب الديوان - الذي يكلف بترتيب الكتب وتلخيصها وعرضها على صاحب الديوان، والمراجعون - الذين يقومون بقراءة مايصدر عن الديوان وتصفحه قبل عرضه على صاحب الديوان، والخطاطون المختصون بتبييض الكتب، والخازن - الذي يقوم بحفظ المكاتبات التي ترد إلى الديوان، والاحتفاظ بسجل خاص ليسهل عليه حصرها. وكان من أشهر من ولي هذا المنصب على عهد السلطان محمد شاه تغلق، الشريف إبراهيم بن أحسن شاه - وكان يعرف بالخريطة دار، أو صاحب الكاغد والأقلام بدار السلطان (٨١).

هـ - صاحب البريد :

حرص سلاطين بني تغلق على تنظيم البريد وتيسير شئونه الإدارية، فكان يعين عليه أحد كبار الموظفين الذي كان يلقب بصاحب البريد - ويمنحه سلطة تعيين عدد من الموظفين المهرة، ويختارون من العارفين بالمدن والأسواق والتجمعات السكانية، فضلا عن اشتراط الولاء للسلطان والحكومة، وذلك أن السلطان كان يقف من خلال تقاريرهم على كل دقائق الأمور التي تجري في أرجاء السلطنة، فضلا عن أحوال الناس ومعايشهم، ومدى ولاء الموظفين وكبار رجال الدولة، وهي من الأمور ذات الصلة بأمن البلاد واستقرارها.

---

(٨١) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٠١.

Agha Mahdi Husayn : The Tughluq Dynasty, Karachi, 1963, p.167.

كان صاحب البريد يشرف على بريد الخيل ويسمى الولاق، وينظم على مسافات متساوية كل أربعة أميال، بين كل مسافتين محطات بها خيل السلطان المتأهبة لحمل البريد، والنوع الثاني بريد الرجالة ويسمى الداوة، وله محطات في قرى معمورة كاستراحات للقادمين بالبريد. وفي خارج القرى تقام القباب - التي يقعد فيها رجال في أتم الاستعداد، قد شدوا أوساطهم، وفي يد كل منهم مقرعة طولها ذراعان في أعلاها أجراس من نحاس، فإذا خرج حامل البريد من القرية، خرج رافعا يده إلى أعلى ما يستطيع بالكتاب، وفي يده الأخرى يحمل المقرعة ذات الأجراس ثم يخرج يشتد في العدو بغاية مايستطيع من الجهد، فإذا سمع الرجال المقيمون في القباب في المرحلة التالية صوت الأجراس من بعيد، تأهبوا لمقابلة حامل البريد، فإذا انتهى إليهم أخذ أحدهم الكتاب من يده، وعدا بأقصى سرعة وهو يحرك مقرعته حتى يصل إلى القرية التالية.

ليس أدل على دقة تنظيم البريد وتطوره في عهد بني تغلق، أن قال ابن بطوطة : «إن طرق البريد في سلطنة دهلي، كانت أفضل منها في مصر والشام، فالأشجار على جانبي طرق البريد، ووسائل الراحة مكفولة في محطات البريد، وعلى الرغم من أن المسافة بين الملتان وقاعدة الملك في عهد السلطان محمد شاه تغلق مسيرة خمسين يوما، إلا أن العدائين الأشداء من حملة البريد كانوا يقطعونها في خمسة أيام» (٨٢). وكان صاحب البريد يكلف بعض الموظفين المتخصصين بالتفتيش في أمتعة المسافرين بمحطات البريد قبل الوصول إلى الملتان أو حاضرة السلطان بعشرة أميال لدواعي أمن السلطنة، وهم يشبهون موظفي الجمارك في العصر الحاضر.

ومن الجدير بالذكر أن البريد لم يكن قاصرا على الرسائل والكتب، بل كانوا يحملون عليه الفواكه التي يحبها السلطان من منتجات خراسان، كما كانوا يحملون

(٨٢) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤١٢.

عليه الكبار من أصحاب الجرائم حتى يعجل السلطان بحسابهم وعقابهم، فكان الرجل يوضع في سرير ويرفعونه فوق رؤوسهم ويشتدون به عدوا (٨٣).

٤- السياسة الخارجية :

حرص سلاطين بني تغلق على الحصول على تقليد بحكمهم من الخلفاء العباسيين في مصر (٨٤) وذلك من باب التشريف وزيادة نفوذهم بين رعاياهم، ولإضفاء الصفة الشرعية على حكم البلاد التي يتم لهم الاستيلاء عليها. وتتجلى مظاهر ذلك في نقش ألقاب الخلفاء على السكة وذكرهم في الخطبة تعبيرا عن الولاء والطاعة، فأرسل السلطان محمد شاه تغلق سفارة إلى مصر برئاسة الحاج رجب البرقعي تحمل كتابا يطلب فيه تفويضا من الخليفة المستكفي بالله العباسي، فأجابه الخليفة إلى طلبه، وبعث إليه عباءة سوداء مذهبة مرصعة بالجواهر وعمامة، فتلقى السلطان التفويض والخلعة ببالغ الاحترام، وأمر بذكر الخليفة في الخطبة ونقش ألقابه على السكة مصحوبا بدعاء أطال الله بقاء الخليفة (٨٥).

ولما ولي الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي الخلافة، أنفذ إلى السلطان محمد شاه خلعة التقليد ومرسوم التفويض، مما كان له أبلغ الأثر في نفس السلطان، فخرج بنفسه لاستقبال سفير الخليفة حاجي سعيد صرصري، يصحبه النبلاء وكبار رجال الدولة، وتلقاه بمظاهر الحفاوة والاحترام، وبعث معه إلى الخليفة كتابا يعبر فيه عن الطاعة والولاء متضمنا تجديد التبعية (٨٦).

---

(٨٣) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ص ٤١١-٤١٣.

(84) Mahajan : OP. Cit., P. 171.

(٨٥) مسعود الندوي : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، دار العربية ١٩٧٧، ص ٢٦.

(٨٦) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٧٥.

Mahajan : OP. Cit., P. 171.

كذلك لما ولي فيروز شاه التغلقي السلطنة بدهلي سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م حرص على استرضاء الخليفة العباسي بمصر، والحصول منه على تقليد بالحكم، فأجابه الخليفة المعتز بالله إلى طلبه (٨٧)، وبعث إليه بخلعة فاخرة، كما جدد له التقليد سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م، وأنعم عليه بخلعة ولواء وسيف وخاتم، وجعله نائبا له ومرشدا للمؤمنين، ولقبه سيد السلاطين (٨٨).

ومن ناحية أخرى حرص سلاطين بني تغلق على توطيد العلاقات الدولية من خلال تبادل السفارات مع ملوك وسلاطين الدول المعاصرة لهم، فأنفذ السلطان محمد شاه تغلق الرحالة ابن بطوطة في سفارة إلى ملك الصين في جمادى الآخر سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م محملا بالهدايا الثمينة، فبعث معه بمائة فرس من الجياد المسرجة الملجمة، ومائة مملوك ومائة جارية من كفار الهند، ومائة ثوب من القطن لانظير لها في الحسن، ومائة شقة من ثياب الحرير المصبوغة بخمسة ألوان، فضلا عن خمسمائة ثوب أخرى ملونة، منها مائة سود، ومائة بيض، ومائة حمر، ومائة خضر، ومائة زرق، إلى جانب مائة شقة من الكتان الرومي، وست من القباب، وأربع حسك من الذهب، وست من الفضة، وأربع طسوت من الذهب ذات أباريق، وست طسوت من الفضة، وعشر خلع من ثياب السلطان مزركشة، وعشرة تراكش (كنانة السهام) مزركشة، أحدها مرصع بالجواهر، وعشرة من السيوف، أحدها مرصع الغمد بالجواهر (٨٩).

كما استقبل السلطان محمد شاه تغلق السفارات الرسمية المبعوثة من قبل الملوك

---

(٨٧) سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، ١٩٦٥ ص ٢٣٥ .

Mahajan : OP., PP. 191-192.

(88) Majumdar : OP. Cit., P. 330.

(٨٩) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٤١ - ٥٤٢.

حسك من الذهب : الشمعدان .

والسلاطين، فاستقبل سفارة ملك الصين وقبل الهدايا التي أنفذها إلى السلطان التغلقي والتي كانت تتألف من مائة مملوك وجارية، وخمسمائة ثوب من الكمخا، وخمسة ألفاف من المسك، وخمسة أثواب مرصعة بجواهر، وخمسة من التراكش مزركشة، وخمسة سيوف.

وكانت مراسم استقبال السفراء والمبعوثين الغرباء تبدأ بنفخ البوق إعلاما للسلطان بأنه قد جاءه كبير ليكون على استعداد من أمره، بينما يترجل الضيف عند الباب الأول البراني، ويمشي إلى أن يدخل سبعة الأبواب، يتبعه المرافقون فإذا تكامل المجيء، أذن لهم السلطان في الدخول، فيتقدم أمير حاجب ونائبه خلفه، ثم خاص حاجب ونائبه خلفه، ثم وكيل الدار ونائبه خلفه ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب، ويعلمون السلطان بمن في الباب، فيأمرهم السلطان أن يأتوا بهم، فإذا دخلوا، جلس حوله من له أهلية الجلوس، ووقف سائر الحضور.

كما بالغ في الاحتفال بوصول بهرام - ملك غزنة - الذي حظي بمظاهر الحفاوة والعظمة، فسار الحراس في طليعة موكب الاستقبال وسيوفهم مسلولة، وعندما اقترب الضيف الكبير من مجلس السلطان، حل محل الحراس المرافقين بعض العظماء من الأمراء المقربين إلى السلطان، زيادة في إكرام هذا الملك بما يتناسب مع مكانته ومركزه (٩٠).

---

(٩٠)ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٧٩ .

الفصل الثاني

النظم الاجتماعية

١ - العناصر العرقية

٢ - الطوائف الدينية

٣ - مراسم الاحتفال بالمواسم والأعياد

٤ - الطعام وموائد السلطان

٥ - تقاليد الزواج وزيارة القبور

٦ - المجالس الاجتماعية

الفصل الثاني
النظم الاجتماعية

كان المجتمع الهندي في عهد بني تغلق يتألف من طبقتين عظيمتين متباينتين(٩١)، الطبقة العليا التي تتألف من السلاطين ومن حولهم من الأمراء، والحجاب، والوزراء، وكبار رجال الدولة أصحاب الألقاب الرفيعة من الخانات والملوك، ويعرف أبناء هذه الطبقة بالراجبوت، وهم سلالة الملوك والحكام القدامى، أشراف البلاد وسادتها وهم الذين اهتموا بتنشئة أبنائهم على الفروسية وتقليد الآباء والأجداد من الأبطال على اعتبار أنهم المثل الأعلى، وكانت بأيديهم الثروات كلها وهم أصحاب السيطرة والسطوة - الذين يتمتعون بالترف والنعيم في ظل خيرات البلاد.

أما الطبقة الثانية فهي الطبقة الدنيا، طبقة السواد الأعظم من الهندوس، ويمثلها الشودرا أو الطائفة المنبوذة، التي ليس لها مهنة خاصة، ولاعمل معين إلاخدمة الطبقة العليا. وكان أبناؤها يعانون الفقر والجوع والفاقة وهم أصحاب البلاء والمحن وبخاصة أوقات المجاعات والكوارث التي كانت تتعرض لها البلاد، ومايصاحبها من الغلاء والفتن العارمة. وكان بنو تغلق يبذلون جهودا مضنية من أجل التخفيف

(٩١) كان التقسيم الطبقي للمجتمع الهندي القديم يقوم على أساس ديني ويتألف من طائفة البراهمة أي الكهان، وطائفة الأكشترية - المحاربين، وطائفة الفيشية وهي طائفة الزراع والتجار التي توفر مسائل العيش للكهان والمحاربين، وطائفة الشودرا وهي أسفل الطبقات. وكانت الفواصل بين هذه الطبقات غيرشاسعة، ثم أخذت على مر الأيام تتسع وتتشكل ويوضع لها نظام وحدود وانتهت إلى طبقتين كبيرتين على عهد بني تغلق.

عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ص ٥٠.

من غلواء المجاعات وآثارها في هذه الطبقة، فلما تعرضت البلاد للجدب وضاقت الأحوال وعظم الخطب على عهد السلطان محمد شاه تغلق، أمر هذا السلطان أن يصرف لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر، فكان القضاة والكتاب يطوفون الشوارع والحارات يكتبون الناس، ويعطون لكل عائلة نفقة ستة أشهر بحساب رطل ونصف من أرطال المؤن في اليوم (٩٢).

كان النظام الطبقي في المجتمع الهندي يفرض قيوداً صارمة على أصحاب كل طبقة تجاه الأخرى، فلم يكن يحق للرجل أن يتزوج من طبقة الشودرا وإلا أصبح منبوذا يطرد من عائلته، فلا يتزوج نساء الشودرا إلاّ رجال الشودرا، وذلك لاعتقادهم أن الدم الذي يجري في عروق الشودرا خطر داهم يؤدي حتما إلى الأمراض الخبيثة، ولذلك يجب عدم الزواج منهم أو محاولة الارتفاع بهم عن طبقتهم السفلى، كما كان يحرم على الشودري أن يجمع ثروة زائدة ولوكان يملك القدرة على ذلك. وفضلا عن ذلك كان الرجل يسقط من مكانته إذا جلس مع الشودري على متكأ واحد أو تناول معه الطعام.

رسخت فكرة الطبقية بمرور الزمان وأصبحت كل طبقة أشد إيمانا وتمكينا بموقفها من غيرها، فمن ذلك أن الشودرا المنبوذين كانوا يتخذون مساكن لهم في أطراف المدن في غاية الحقارة والضعة بعيدا عن غيرهم من الأهالي، وهم يتميزون بالجهل الشديد ولايحاولون الارتقاء بمستواهم، فقد رضوا بالذل والمهانة، وكانت جل سعادتهم هي خدمة أفراد الطبقة العليا.

ولاشك في أن موقف الحكام المسلمين من هذه الطبقة كان له أثر كبير في تأكيد تدنيها وبقائها على حالها، فلم يحاول هؤلاء الحكام الذين تربعوا على عرش الهند أكثر من ثمانية قرون أن يرتقوا بمستواهم أو إنقاذهم من عبوديتهم، فظل المنبوذون في

(٩٢) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٨٧، ٤٨٩.

داخل نطاق طائفتهم لايرتفعون عنها، وكان الأولاد يرثون الآباء في ضعتهم ومهانتهم[٩٣] ومكانتهم الوضيعة.

١ - العناصر العرقية

تضم الهند طوائف وأجناس شتى فعلى الرغم من حمايتها بحواجز طبيعية إلا أنها شهدت هجرات كثيرة من شعوب متباينة وبخاصة من جهة الغرب، حيث توجد الممرات التي مهدت السبيل لجيرانها، واستمرت الهجرات على مدار تاريخها عبر الحدود الشمالية التي استقرت في السند، والهجرات التي جاءت عن طريق البحر من الساحل الغربي واستقرت في البنجاب وماحولها فضلا عن استقرار مقاتلة المسلمين في أعالي الهند وهضبة الدكن.

شجعت مساحة الهند الكبيرة وتباين المناخ فيها وماشتهرت به من كنوز وخيرات الهجرات المختلفة من شعوب شتى، الأمر الذي أدى إلى ذلك التباين في اختلاف السكان في اللغة والدين، فضلا عن اختلاف الهنود في ألوانهم وأجناسهم وطبائعهم وعاداتهم، ومن الغريب حقا أن كل هذا الشتات صار يؤلف شعبا واحدا ينتمي إلى أرض هذا الوطن.

كانت أهم العناصر العرقية التي أدَّت دورا بارزا في إحداث دولة بني تغلق تتألف من العرب والأفغان والترك والفرس.

أ - العرب

نشأت بين العرب والهنود صلات قوية قبل الإسلام من خلال الرحلات التجارية التي ارتادها العرب بين آسيا وأوروبا، وأقامت بعض الجاليات العربية في الهند وتمتعت بمكانة خاصة عند الهنود بعد أن اطلعوا من خلالها على العادات

---

(٩٣) عبد المنعم النمر : المرجع نفسه، ص ٥٦.

والتقاليد العربية السامية، فلما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية ازدادت مكانة العرب في قلوب الهنود المتعاملين معهم بعد أن عرفوا الشيء الكثير عن مبادئ الإسلام السامية.

كان العنصر العربي على عهد بني تغلق يتمتع بمنزلة كريمة ومكانة مرموقة، ذلك أن السلاطين كانوا لايفرقون بين المسلمين من عناصر عربية والعرب على اعتبار أنهم حملة لواء الإسلام وهم جند الفتح، لذلك كان يطلق على العرب لقب الأعزة (من الإعزاز والتكريم والمحبة) فأقام كثير منهم في البلاد، وتولوا الوظائف الكبيرة والأعمال الهامة، وكانت لهم حرية العمل والتجارة، فمن ذلك أن ابن بطوطة لقي خلال إقامته بالهند كثيرا من التجار العرب من بينهم أبو الحسن العبادي العراقي - الذي أكرم وفادته، فضلا عن سيطرة التجار العرب على الأسواق في دهلي حيث التقى ابن بطوطة تاجراً كبيراً واسع التجارة من أهل العراق اشترى منه ثلاثين فرسا، وجملا عليه حمل من النشاب، كما لقي في وسط الهند شريفا بغداديا يشتغل بالتجارة وشيخا صالحا من شيوخ بغداد ينتسب إلى العباس رضي الله عنه يدعى السامري، كان يجلس على مائدة السلطان ويخاطبه محمد شاه «ياوالدي»(٩٤).

كذلك كان لعرب الشام روابط مع الهند، فلما قام الأمير سيف الدين بن هبة الله - أمير عرب الشام بزيارة الهند، أكرمه السلطان إكراما عظيما وأنزله في قصر من قصور السلاطين. وكان أحد تلاميذ تقي الدين بن تيمية قدم على السلطان، فأكرمه وأحسن إليه وهو الشيخ عبد العزيز الأردبيلي - الذي سرد على السلطان أحاديث في فضل العباس وابنه وشيئا من مآثر الخلفاء، فأعجب ذلك السلطان لحبه بني العباس، كما أن الشيخ الأردبيلي كان قد أخذ عن جمال الدين المزي والحافظ الذهبي، فلا غرو إذا استفاد الملك ورجال حاشيته من علمه، وأفاد الشيخ من اتصل

---

(٩٤) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤١٣-٤١٧.

به من العلماء والطلاب، وأخذ بيد السلطان، وشد عضده في رفع شأن السنة، وإزهاق باطل البدع. ومن ناحية أخرى اهتم السلطان محمد شاه باللغة العربية فكان السلطان يعرف العربية ويستطيع أن يتحدث ويفهم بها. ويذكر ابن بطوطة أن السلطان وحاشيته كانوا يفهمون الشعر العربي ويتذوقونه، كما كان السلطان محمد شاه يكرم الشعراء، كذلك كان يحفظ كثيرا من آيات القرآن الكريم ويستشهد بها(٩٥).

ب - الأفغان

على الرغم من الفتن والحروب التي وقعت بين الهند وبلاد الأفغان إلا أن جماعة من الأفغانيين كانوا يقيمون في بعض مدن الهند وكان بعضهم يسكن جبالا منيعة على مقربة من مدينتي كنباية (kenbaya) وبلوذرة (Bloudhrah) وذلك لحماية أنفسهم من بطش الحكام، ذلك أنهم كانوا يتعرضون للاضطهاد إذا ما ساءت العلاقات الأفغانية التغلقية، فمن ذلك أن شاه أفغان كان قد خالف السلطان محمد شاه تغلق بأرض الملتان، واعتدى على أميرها زاد وقتله، وادعى السلطان لنفسه، فلما علم بذلك السلطان ثار وكتب إلى عماله بمدينتي كنباية وبلوذرة أن يقبضوا على من وجدوه من الأفغان ببلاده، كما كتب السلطان إلى نائبه بإمارة دولة آباد نظام الدين أخي قطلوخان أن يقبض على الأفغان القاطنين بإمارته، وبعث إليهم بأحمال كثيرة من القيود والسلاسل، غير أن الأفغان استطاعوا التصدي لنظام الدين وأتباعه وحملوا عليهم، ودخلوا المدينة، واستولوا على خزائنها، واختاروا أحد قادتهم أميرا عليهم وهو ناصر الدين بن ملك.

غير أن السلطان خرج بنفسه على رأس الجيش لتأديب الأفغانيين الذين غلبوا كنباية ودولة آباد، واستطاع أن يتغلب عليهم، وأقام بدولة آباد، وبعث إلى الأفغانيين

(٩٥) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٣٤.

الذين تحصنوا بقلعتها الدويقير (Deogir) أن ينزلوا على حكمه، فأبوا أن ينزلوا إلا على الأمان(٩٦).

ج - الترك والفرس

كان للترك أثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك العصر، فقد كان أغلب الخانات من الترك، غير أن هذا العنصر كان يشكل المصدر الأساسي للقلق حيث تنازع الترك كثيرا مع العناصر والجنسيات الأخرى لعدم تجانسهم، فانتشر الفساد في البلاد وعمت الفوضى. ولاشك أن الفساد السياسي ينعكس تأثيره على استقرار الحياة الاجتماعية لطبقات المجتمع، وبخاصة الطبقة الشعبية الكادحة فهي على الدوام التي تدفع الثمن، ذلك أن المتناحرين من هذه العناصر كانوا يلجأون إلى فرض الأتاوات والضرائب على عامة الناس لتجهيز أتباعهم عسكريا، مما أدى إلى تدهور الحالة الاقتصادية بسبب نفقات الحروب الأهلية (٩٧).

أما أهل فارس فكانوا يباشرون نشاطا كبيرا في البحر والتجارة في ميناء (لاهري) على نهر السند، وكذلك كان نشاطهم في مدينة «منجرور» التي تقع على أكبر خور في بلاد «المليبار» (Malabar) . ومن هذه البلاد كانت السفن تحمل الناس والبضائع إلى عمان وفارس واليمن، وكان أهل اليمن يشاركون بقدر كبير في هذا النشاط التجاري لميناءي «لاهري ومنجرور» (٩٨).

د - الرقيق الأبيض

ومن العناصر التي كثر عددها في عهد بني تغلق، الرقيق الأبيض،فقد كانت قصور السلاطين والأمراء والعظماء والأغنياء تأوي الكثير من الرقيق، وعلى

---

(٩٦) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥١٠.

(97) Munshi : op., Cit., PP. 147-148.

(٩٨) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٢١.

الأخص الجواري اللائي كن من أجناس متنوعة، تختلف في الطباع والعادات واللغات. وقد تجلت في ذلك العصر ظاهرة تعليم الجواري الغناء الذي انتشر انتشارا عظيما، حتى أصبح من الحاجات الإنسانية الضرورية. وكانت العناية بتعليم الجواري قد ازدادت لتحقيق المكاسب التجارية، لأن الجارية المتعلمة المتقنة للرقص والغناء، كانت تقوّم بأضعاف غير المتعلمة، وزاد من قيمتهن أن السلطان كان يهبهن للأمراء والأعزة في المناسبات المختلفة، كما يهبهن لأقاربه وأصهاره، فضلا عن إهدائهن للملوك والسلاطين، فكانت الهدية التي حملها ابن بطوطة إلى ملك الصين تشتمل على مائة مملوك ومائة جارية وراقص من كفار الهند وخمسة عشر من الفتيان (٩٩).

لم يقتصر استخدام الرقيق على قصور السلاطين والأمراء وغيرهم، بل اعتمدت عليهم الدولة في الأعمال اليدوية كالزراعة والحرف الصناعية والمهن اليدوية، فضلا عن تجنيدهم في الجيوش، فمنهم من كانوا جنودا وقوادا تستعين بهم الدولة في حروبها. وقد وصل كثير من الأرقاء المعتقين إلى مراكز سامية، فمنهم من تولى قيادة الجيوش ومنهم من حكم الولايات، فكان ترك تاج الملك نصرة خان نائبا عن السلطان محمد شاه تغلق ببلاد التلنك وهو من قدماء خواصه (١٠٠).

٢ - الطوائف الدينية

كانت بلاد الهند في عهد بني تغلق تضم طوائف دينية عدة من المسلمين، أهل السنة والباطنية والصوفية، وغير المسلمين من البراهمة والسامرة والسحرة الجوكية.

أ - المسلمون

(١) أهل السنة

كان مسلمو الهند من أهل السنة يتمتعون بالاحترام والتقدير من الملوك

(٩٩) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص ٥٤٢.

(١٠٠) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص ٥٠١.

والسلاطين والأمراء، ذلك أن اسم الخلافة العباسية كان يلقى تعظيما وقداسة عند ملوك الهند، كما أن العاطفة الدينية كانت عندهم قوية راسخة عميقة، ويتجلى ذلك في تقدم القضاة والمؤذنين المواكب السلطانية، وإذا جلس السلطان على سريره وتقدم وجوه الدولة لتهنئته كان أول من يتقدم منهم القضاة والخطباء والمشايخ.

وبلغ من اهتمام السلطان محمد شاه تغلق بعلماء المسلمين أنه أمر بصنع منبر من الصندل الأبيض جعلت مساميره وصفائحه من الذهب، وألصق بأعلاه حجر ياقوت عظيم، ليقف عليه الواعظ ناصر الدين الترمذي، وأغدق عليه بحوامل الكتب الذهبية، وكان بعد كل خطبة يعانق الواعظ ويركبه فيلا ويأمر الحضور بالسير بين يديه، وكان الأمير الفقيه علاء الملك يملك جملة من السفن وكثيرا من العبيد وله حرس خاص وأبواق وطبول تضرب في طريق سيره (١٠١).

كانت الصلات بين المسلمين وغير المسلمين من سكان الهند وبخاصة الهندوس غير وطيدة في بداية الفتح الإسلامي، وعاش كل فريق منهم بمعزل عن الآخر للاختلاف والتباين في المعتقدات والعادات والتقاليد، ذلك أن الهندوس البراهمة كانوا يقدسون البقر ويحرمون ذبحها وكان الجزاء الرادع الذي يلقاه من يذبحها أن يخاط في جلد البقر ويحرق. ولكن العلاقات بين المسلمين والهندوس كانت تمر بفترات هدنة في بعض عهودها، ويرجع ذلك بالضرورة لاتجاهات الحكام المدافعين عن الإسلام فالناس على دين ملوكهم. ففي عهد السلطان فيروز قل بناء المعابد الهندوسية بعد أن حدد موقف الشرع منها، فأمر بحفظ التليد وهدم الحديث وماأقيم بعد انتشار الإسلام اقتداء بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٠٢).

ومن ناحية أخرى حاول الهندوس التقرب من المسلمين، ويتجلى ذلك في استخدام بعض الهندوس لعادة حجاب المرأة والأزياء الإسلامية، وعدم حرق جثثهم

(١٠١) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٧٥.

(١٠٢) برني، ضياء الدين : تاريخ فيروز شاهي، كلكته ١٨٦٢، ص ٢٨٤.

ودفن الموتى واستخدام الألفاظ العربية والفارسية والتركية مما أدى إلى ظهور لغة جديدة هي اللغة الأوردية (١٠٣).

ومماتجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من أن المسلمين والهندوس قاتلوا جيش تيمور متحدين فيما بينهم في بلدة بهتنير (Bahtnir) إلا أنها لم تكن حروبا دينية يقاتل فيها المسلمون والهندوس لإعلاء كلمة الله، بل حروب شخصية أو أهلية، أوقدوا نيرانها لتوطيد دعائم مملكتهم، فانحاز المسلمون والهندوس إلى حلفائهم من أجل الظفر بالمناصب والوظائف الهامة.

(٢) الباطنية

وجدت دعوة الشيعة التي قامت على أيدي الرواد الأوائل من دعاتها أرضا خصبة في بلاد الهند، واستطاعت أن تستميل فئات غير قليلة من الهنود في مناطق مختلفة من شمال البلاد وجنوبها. ويرجع السبب في ذلك إلى القدرات التأثيرية للدعاة في عقول مريديهم وقلوبهم، وإقناعهم باعتناق الإسلام على المذهب الشيعي، فضلا عن دراسة الدعاة لعادات وتقاليد وعقائد الهنود ومحاولة التقريب بينها وبين تعاليم الشيعة الاثني عشرية (١٠٤)، والإسماعيلية(١٠٥) بشقيها النزارية والمستعلية.

---

(103) Elliot and Dowson : the History of India as told by its own Historians, (Mohammed Period), 8. vols., London, 1867-1877, vol. II, P. 386.

(١٠٤) الاثنا عشرية : يرى زعماء طائفة الشيعة الاثني عشرية أن الإمامة انتقلت بعد الإمام علي للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم لابنه محمد الباقر ثم لابنه جعفر الصادق ثم لابنه موسى الكاظم ثم لعلي الرضا ثم لمحمد الجواد ثم لعلي الهادي ثم للحسن العسكري ثم لابنه محمد، وهو الإمام الثاني عشر، ويعتقدون أنه دخل سردابا في دار أبيه بسرمن رأى (سامرا) سنة ٢٦٠هـ وأنه سيظهر ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا.

(١٠٥) الإسماعيلية : هم الذين جعلوا الإمامة بعد جعفر الصادق لابنه اسماعيل، ولما كان اسماعيل قد توفي في حياة أبيه، لذلك نقلوا الإمامة إلى محمد المكتوم بن اسماعيل، وقالوا أيضا برجعته بعد

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الدعاة الأوائل وماكان لها من فضل تحول كثير من الهندوس إلى الإسلام، إلا أن بعض الدعاة استغلوا فرصة كثرة الأتباع في تحقيق أغراض سياسية بعيدة عن الدعوة الدينية، وكان من بينهم نور الدين ترك - الذي استطاع أن يجمع شيعة الهندستان في دهلي ويجعل منهم قوة ذات نفوذ، والداعي شمس الدين الفارسي - الذي وصل الهند أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي قادما من إيران (١٠٦)، وتمكن هذا الداعي من كسب ثقة أتباعه بمشاركة أهالي البلاد في عاداتهم طبقا لخطة محكمة بدأت بدراسة تقاليدهم واحتفالاتهم، ومحاولة خلطها بالتقاليد الاجتماعية الإسلامية، فلما كثر أتباعه ومريدوه كون لهم فرقة خاصة نسبت إليه وعرفت باسم فرقة الشمسيين، وصار للشمسيين قاعات خاصة يجتمعون فيها تسمى (جماعات خان)، تدار فيها المناقشات، وتجبى فيها الهبات والعطايا التي يقدمها الأتباع. لكن الشمسيين استفحل خطرهم وصاروا أشبه بدولة مستقلة داخل الدولة (١٠٧)، مما أغضب الحكام عليهم، لذلك اتجهوا للعمل في الخفاء مع الفئات الأخرى وتحولوا إلى مذهب الباطنية المتطرفة (١٠٨)، لتحقيق

غيبته، وانقسمت الإسماعيلية إلى فريقين :

أ - النزارية : أنصار نزار الابن الأكبر للمستنصر بالله - الذي أكرهه أخوه على التخلي عن الإمامة.

ب - المستعلية : أنصار المستعلي أبي القاسم أحمد - الذي اغتصب الإمامة من أخيه.

عبد الله الأمين : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٦١.

(106) Hollister : The shia of India, London, 1953, P. 77.

(١٠٧) عبد العزيز الزكي : الفكر الهندي من الهندوكية إلى الإسلام، عالم الفكر، المجلد السادس، العدد الثاني، الكويت ١٩٧٥ ص ٤٤٤.

(١٠٨) الباطنية : هم الذين لايقبلون الأخذ بظاهر القرآن، ويقولون إن القرآن له ظاهر وباطن ويعتقدون بأن المراد منه الباطن دون الظاهر، وهم يخفون أفكارهم في نفوسهم ويظهرونها بين الحين والحين حينما يجدون الأرض الخصبة لأفكارهم.

محمد علي الصابوني : التبيان في علوم القرآن، دار عمر بن الخطاب، الاسكندرية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، ص ٢٠٣-٢٠٥.

أغراضهم السياسية وقاموا بنشر القلاقل والاضطرابات، ولاجتذاب مزيد من الأتباع أشاعوا الإباحية والتحلل من القيم الأخلاقية والشعائر الدينية، فلما استفحل خطرهم، تصدى لهم السلطان فيروز شاه التغلقي وأمر بإحراق كتبهم علانية وعاقب زعماءهم. يقول فيروز شاه : «فأخذناهم بأعمالهم المنكرة أخذا وعاقبناهم عقابا، وأمرنا بإحراق كتبهم على مرأى من الناس ومسمع»(١٠٩).

(٣) الصوفية

تعد حركة التصوف من أكبر الحركات العقائدية التي استطاعت أن تكسب لها قاعدة واسعة من الهنود، وذلك أنهم وجدوا في حياة التقشف والورع الصوفية مايتمشى مع اليوجا الهندوكية (١١٠) التي تقوم على قهر الشهوات وترويض النفس والضبط الروحي. وقد تأثر الهنود بزعماء التصوف - الذين وفدوا على الهند في فترات متتالية، وصارت لهم قدسية في عقول وقلوب مريديهم فالتفوا حولهم للتبرك بمجاورتهم بل عمدوا إلى زيارة قبورهم في المناسبات الدينية المختلفة.

ظهرت الصوفية في بلاد الهند بشكل جديد حيث آثر مشايخها الهدوء والبعد عن النزال والحركة، والتفرغ للتعبد، فنشأت الرغبة في الانقطاع والتجرد. فمن ذلك أن الأمير الصوفي سارنك الكهنوتي ترك الإمارة (كان من أمراء السلطان فيروز شاه)، وصحب الشيخ قوام الدين بن ظهير الدين الكردي وتلقى الذكر منه، واقتدى به أتباعه، فنفروا من العلم وأهله، وانقطعوا للذكر والمجاهدة - التي تستولي على جميع النفس وتعطل عمل الجوارح وتقتل الهمة والإرادة الإنسانية، مما يؤدي إلى

---

(١٠٩) خادم حسين بخش : المرجع نفسه، ص ٣٧.

(١١٠) اليوجا : المذهب اليوجي أسسه باتانجالي Patangali ،وهو يقوم على ثنائية الروح والمادة، والروح هي التي تزود الحياة بالشعور والوعي وتمكن المادة من معرفة ذاتها، لكن المعرفة لاتتم إلاإذا تحررت الروح من المادة.

الزكي : المرجع نفسه، ص ٣٨٤.

فناء عقيدة الجهاد والعمل على تبليغ الدعوة استغراقا وتفرغا حتى تتوارد على قلب السالك ماأسموه بالنفحات الربانية، ذلك أن المريد إذا رغب في الاستمرار والتدرج في طريق الصعود، فعليه المواظبة لما يردده الشيخ من أدعية وأذكار، وعليه أن يكون في كل علاقاته بشيخه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء (١١١)، لاحركة ولاتدبير حتى يصل به شيخه نحو آخر المطاف في الطريق (١١٢).

وفي تطور آخر أباح شيوخهم السكر، وشرب مايذهب العقل لمن لم يصل إلى درجة الوجد والطرب (كنه الحقيقة)، وضرورة الإيمان بمذهب بديع الدين المدارجلي - الذي ادعى أنه أحد الأقطاب الذين عليهم مدار العالم، وأن تصرفات الكون لاتعدوه، وأنه يحيي الموتى ولايحتاج إلى طعام - فامتزج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية وأوهام المتصوفة. وبلغ من تمسكهم بعقائدهم الممزوجة بخرافات الوثنية وإيمانهم بها أن وضعوا لأنفسهم شارات وعلامات ورايات، واتخذوا طبولا ودفوفا، وخلطوا ذكر الله تعالى والصلاة على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، بقرع الطبول والضرب بالسيوف والسهام في بعض أجزاء الجسم كالبطن والرأس والفم.

وفضلا عن ذلك عمدوا إلى القيام بحركات غير متوازنة في أثناء الذكر، كإدخال النار في الفم، والتعذيب الجسدي، والإيهام بالقدرة على فعل الخوارق، فضلا عن التلطخ بالدماء النجسة وشربها وسقيها للآخرين، مما أدى إلى فتنة الناس وإدخال الشبهة في عقيدتهم، وأصبحوا نماذج إفساد في المجتمع يمارسون الرقص في حلقات والتصفيق في مجموعات - الذي يشبه ماكانت عليه أساليب الوثنية في الجاهلية، المكاء والتصدية - وقد عقب على ذلك جوستاف لوبون بقوله (ويظهر

---

(١١١) القشيري : الرسالة القشيرية، تحقيق د. عبد الحليم محمود، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٣م، ص ١٢٠.

(١١٢) عبد الله الأمين، المرجع نفسه، ص ٢٤٨.

للباحث عند دراسة الإسلام في الهند أن هذا الدين قد مسخ مسخا وشوه تشويها)(١١٣).

تصدى السلطان فيروز شاه لهذه الفتنة وقضى على رأسها الذي كان قد تلقب بالمهدي، وتعقب أتباعه ونكل بهم. يقول فيروز شاه (رجل ادعى النبوة وتلقب بالمهدي في دهلي، فتبعه خلق كثير واستفحل أمره وعظم شره حتى جيء به إلينا، فاعترف بالإثم غير وجل، فأمرنا بقتله، وقتل كل من يقتفي أثره وتقطيع لحومهم وأجسادهم إربا إربا، وبذلك جعلناهم مثلا لكل من ينفخ في أوداجه الشيطان، فانطفأت جذوة الشر، ونجا الناس من ضلالاتهم) (١١٤).

يرجع السبب في ظهور هذه الطوائف المتطرفة إلى المنهاج التعليمي، الذي جرى العمل به في عصر الحكومات المسلمة الهندية قبل عصر بني تغلق، في بقاء الآلاف المؤلفة من المسلمين الجدد على عقائدهم الباطلة وعاداتهم الممزوجة بخرافات الوثنيين، فإنهم لم يعيروا التعليم الديني حقه من العناية، ولم يهتموا أصلا بتثقيف الناشئة؛ لأن الهند أصيبت بملوك لايعرفون من الإسلام إلا اسمه، ومعظمهم لايعرفون لغة القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. يقول مسعود الندوي : المؤلم في تاريخ الإسلام في الهند إنما هو ضآلة نفوذه وعدم تغلغله في أفكار الأهالي، وقلة أثره في حياتهم الاجتماعية. وجملة القول : إن دين الإسلام لم يؤثر في أديان البراهمة، كما تأثر هو نفسه بعقائدهم وشعائرهم الدينية.

ب - غير المسلمين

(١) البراهمة

طائفة البراهمة هم الذين يقدسون البقر ويحرمون أكل اللحوم بتاتا، وتعد من

(١١٣) جوستاف لوبون، حضارة الهند، ص ٣١٠.

(١١٤) برني : تاريخ فيروز شاهي، ص ٢٩٣.

Elliot : OP. Cit., vol. 3, pp. 363-365.

أكثر الطوائف الدينية انتشارا في بلاد الهند ومن أقدمها وهي تنسب إلى رجل منهم يقال له براهم، كان قد مهد لهم نفي النبوات واستحالتها في العقول. وينقسم البراهمة إلى عدة أصناف فمنهم أصحاب البددة، ومعنى البد عندهم شخص في هذا العالم لايولد، ولاينكح، ولايطعم ولايشرب ولايهرم ولايموت، وأول «بد» ظهر في العالم اسمه «شاكمين» وتفسيره السيد الشريف. وزعموا أن البددة أتوهم من نهر الكنج المقدس وأعطوهم العلوم وظهروا لهم في أجناس وأشخاص شتى، ولم يكونوا يظهرون إلا في بيوت الملوك لشرف جوهرهم. ومنهم أصحاب الفكرة والوهم - وهم الأعلم بالفلك والنجوم وأحكامها ويعدون زحل السعد الأكبر، وذلك لرفعة مكانته وعظم جرمه، وهو الذي يعطي العطايا الكلية من السعادة، والجزئية من النحوسة، وهؤلاء من أصحاب الفكرة، يعظمون الفكر ويقولون إنه المتوسط بين المحسوس والمعقول.

ومنهم أصحاب التناسخ الذين قالوا : إذا كانت حركات الأفلاك دورية، فلامحالة يصل رأس الفرجار إلى مابدأ ودار دورة ثانية على الخط الأول، والنجوم والأفلاك دارت على المركز الأول، وما اختلفت أبعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه عام، فيجب أن لاتختلف المتأثرات الباديات منها بوجه عام، وهذا هو تناسخ الأدوار والأكوار. وعلى ذلك ففكرة التناسخ تعتمد على تجوال الروح، فهم يعتقدون أن الأرواح حائلة متنقلة في أطوار شتى من الوجود، تنتقل من جسد إلى آخر، سواء أكان في الإنسان أو الحيوان، في طريقها إلى هدفها الأخير (١١٥).

تطورت البرهمية على يد المفكرين نيمباركا - الذي ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي، ومادفا - الذي ظهر في القرن الثالث عشر الميلادي، فعرضا لعقائدها في صورة بسيطة تخلو من التعقيد، وتتمشى مع القبول العقلي المنطقي، فقالا إن الحقيقة

(١١٥) يقول الشهرستاني : من الناس من يظن أنهم سموا براهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام، وذاك خطأ، فإن هؤلاء هم المخصوصون بنفي أصلا ورأسا فكيف يقولون بإبراهيم عليه السلام، انظر - الملل والنحل، تحقيق قمر سيد نحيلان، مجلدان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٢، مجلد ٢، ص ٢٥٠-٢٥٤.

الكبرى مصادر المعرفة جوهرها برهمان، وإنه أعظم حقيقة بل هو الحقيقة الوحيدة، وإنه شيء كل الأشياء، وإنه الحقيقة المطلقة فوق مستوى الإدراك، واجب الوجود، تام الكمال، قادر على كل شيء، مصدر كل شيء، وبرهمان هو الذي يعطي الشيء ذاته ووظيفته، وهو مصدر كل فعل، فهو الذي خلق الأشياء التي يصدر عنها أفعال(١١٦)، وقد اجتهد مفكرو البرهمية لتوكيد أن الوحدة الإلهية نبعت من صميم الفكر البرهمي الهندي ولم تفد إليها من الفكر الإسلامي، وذلك في محاولة منهم لخلق معارضة لانتشار الإسلام، ولبعث العقيدة الهندية القديمة وإحيائها.

كان للبراهمة عادات ومعتقدات غريبة، فكثير من رجالها كانوا يغرقون أنفسهم في نهر الكنج (١١٧)- الذي يزعمون أنه مقدس وأنه ينبع من الجنة، لذلك كانوا يغرقون أنفسهم فيه تقربا إلى الله - فإذا مات أحدهم أخرجوه وأحرقوه وذروا رماده فوق ماء النهر، أما نساء البراهمة فكن يحرقن أنفسهن حزنا على أزواجهن وفق طقوس وتقاليد متوارثة.

كانت طقوس الحرق تتم بعد ثلاثة أيام من الغناء والطرب والأكل والشرب وداعا للدنيا، وكانت المرأة يوم التحريق تتزين وتتعطر وتأتي إلى المكان راكبة فرساً وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها، وفي يسراها مرآة تنظر فيها إلى وجهها، والبرهمة يحفون بها وأقاربها معها، وبين يديها الطبول والأبواق والأنقار، وكل إنسان من المرافقين لها يوصيها : «أبلغي السلام إلى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي، وهي تقول: نعم، وتضحك إليهم، وكان هناك موضع خاص لأداء هذه الطقوس».

---

(١١٦) الزكي : المرجع نفسه، ص ٤٢١ - ٤٢٢.

(١١٧) نهر الكنج : هو النهر المقدس لدى الهندوس - الذين يغتسلون في مياهه ليتطهروا من ذنوبهم - وتتدفق مياهه من جبال الهمالايا من ارتفاع أربعة آلاف متر ويعتبر الصعود إلى هذا المكان من أعظم القربات.

جوستاف لوبون : المرجع نفسه، ص ٣٨.

كان موضع الطقوس عبارة عن مكان مظلم كثير المياه والأشجار متكاثف الظلال وبين أشجاره أربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال، فإذا وصلت المرأة إلى تلك القباب نزلت إلى الصهريج وانغمست فيه وجردت ما عليها من ثياب وحلي فتصدقت بها، وارتدت ثوبا من قطن خشن غير مخيط رُبط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفها، والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض وصب عليها الزيت فزاد في اشتعالها، وهنالك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق، وأهل الأطبال والأبواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة، وقد حجبت النار بملحفة - يمسكها الرجال بأيديهم لئلا يدهشها النظر إليها، فإذا وصلت المرأة إلى الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت : أبالنار تخوفونني ثم جمعت يديها على رأسها تحية للنار ورمت بنفسها فيها، وعند ذلك تضرب الأطبال والأبواق، ويرمي الرجال مابأيديهم من الحطب عليها فترتفع الأصوات ويكثر الضجيج (١١٨).

(٢) السامرة

كانت طائفة السامرة تسكن مدينة جنائر بالقرب من نهر السند، وهذه الطائفة من بقايا الطوائف التي كانت تعيش في إقليم السند قبل أن يتمكن محمد بن القاسم قائد الجيوش الإسلامية من فتحه وضمه إلى حظيرة الإسلام. كان السامرة لايأكلون مع أحد، ولاينظر إليهم أحد حيث يأكلون، ولايصاهرون أحدا غيرهم ولايصاهر إليهم، ويترأسهم أمير الطائفة الذي يلقب بلقب (ونار) وكانوا يؤمنون بالتناسخ، وعندهم أن الإنسان يرجع بعد أربعين يوما من وفاته، إلا أن روحه تعود في صورة كلب أو حمار أوبقرة أو فيل (١١٩).

---

(١١٨) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(١١٩) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٣٠.

الموسوعة الميسرة في الأديان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٣) السحرة الجوكية

وكان من أعجب الطوائف، طائفة السحرة الجوكية وهذه الطائفة من الطبقات الدنيا الذين كانوا يسكنون كَجرا فمنهم من يقيم مددا طويلة لايأكل ولايشرب، وكثير منهم تحفر له حفرة في الأرض ثم يهال عليه التراب ويترك له موضع يدخل منه الهواء. والجوكية يلبدون شعورهم ويطلقونها، ويصنعون حبوبا يأكلون منها فلايحتاجون إلى طعام ولاشراب، وأكثرهم لايأكل اللحم. ومن هؤلاء الجوكية من يقتصر في طعامه على البقل، وكان لهؤلاء القوم جميعا منزلة ومكانة حتى إن السلطان كان يجالسهم ويعظمهم، ويعتقد الناس أن الأبرص والمجذوم إذا أقام عندهم مدة طويلة برأ. ويذكر ابن بطوطة أنه شاهد من هذه الجماعة نحو الخمسين أمر لهم السلطان طرمشيرين - ملك تركستان - بحفر غار تحت الأرض يقيمون فيه لايبرحونه إلا للضرورة، ولهم شبه القرن يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتمة،[١٢٠] ويتميزون بأنهم عودوا أنفسهم الرياضة، ولاحاجة لهم في الدنيا وزينتها، ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيؤثر فيه تأثيرا كبيرا وأكثر مايكون هذا من النساء.

٣ - مراسم الاحتفال بالمواسم والأعياد

اهتم سلاطين بني تغلق بالاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية في شيء من الأبهة والعظمة لإدخال السرور إلى قلوب المسلمين، وتجسيدا للخصوصية الدينية في ذلك. وتتجلى الاحتفالات في عيد الفطر، وعيد الأضحى، ورأس السنة الهجرية، وليلة النصف من شعبان، وحلول شهر رمضان المبارك.

(١٢٠) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٥٥ - ٥٥٦.

أ - مواكب الأعياد

كانت مراسم الاحتفال بعيدي الفطر، والأضحى، تبدأ ليلة العيد حيث تزين الفيلة بالحرير والذهب والجواهر، منها ستة عشر مخصصة لدعوة السلطان يرفع على كل واحد منها ستر من الحرير مرصع بالجواهر، قائمُ كل ستر منها عمودٌ من الذهب الخالص، وعلى كل فيل مرتبة من الحرير مرصعة بأنفس الجواهر، ويمشي بين يدي السلطان عبيده ومماليكه، وعلى رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة، وفي وسطه منطقة من الذهب، وبعضهم يرصعها بالجواهر، ويمشي بين يديه النقباء على رأس كل واحد منهم أقروف (١٢١)، من الذهب، وعلى وسطه منطقة من الذهب وفي يده مقرعة يدها من ذهب.

فلما كان يوم العيد ركب الخطيب على فيل، وقد مهد له ظهره شبه السرير، وركزت أربعة أعلام في أركانه الأربعة، ولبس الخطيب ثياب السواد، وركب المؤذنون على الفيلة يكبرون أمامه، وركب فقهاء المدينة وقضاتها، وكل واحد منهم يستصحب صدقة يتصدق بها حين الخروج إلى المصلى ونصب على المصلى صيوان (خيمة كبيرة) قطن، وفرش ببسط، واجتمع الناس ذاكرين الله تعالى، ثم صلى بهم الخطيب، وينصرفون إلى دار السلطان.

كان قصر السلطان يفرش كل يوم من أيام العيد ويزين بأبدع زينة وتضرب «الباركة» على المشور كله، وهي شبه خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخمة كثيرة وتحفها القباب من كل ناحية وتصنع أشجار من حرير ملون، ترسم عليها الأزهار وتجعل في ثلاثة صفوف بالمشور، ويجعل بين كل شجرتين كرسي من الذهب عليه مرتبة مغطاة، وينصب «السرير الأعظم» - الذي يجلس عليه السلطان في صدر المشور من الذهب، وقوائمه كلها مرصعة بالجواهر طوله ثلاثة وعشرون شبرا

(١٢١) أقروف : قلنسوة طويلة.

وعرضه نحو النصف من ذلك، فإذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم (١٢٢).

ومن مراسم الاحتفال بالعيدين، نصب المنجرة العظمى وهي شبه برج من الذهب الخالص منفصلة أجزاؤه ثم توصل، والقطعة الواحدة منه يحملها جملة من الرجال، وفي داخل البرج ثلاثة بيوت يدخلها المنجرون يوقدون العود والعنبر حتى يعم عبيرها المشور كله، وهناك فتيان يحملون براميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا، ويقف على الباب خدم في يدهم عصي من الذهب والفضة يدخلون الناس على السلطان، فكانوا يدخلون إلى السلطان على قدر مراتبهم.

وكان الاحتفال بحلول شهر رمضان مثالا للروعة والبهاء، فكان بنو تغلق يعدون العدة للاحتفال به في الأيام الأخيرة من شهر شعبان في كل سنة حيث يبدأ المستخدمون والعمال بإعداد آلات موكب السلطان، من الأسلحة والصنوجات وغيرها، وفي اليوم السابق لدخول شهر رمضان يتأهب السلطان لعرض الخيل، وإذا فرغ من عرضها يتلو القراء آيات القرآن الكريم الخاصة بصيام شهر رمضان المبارك.

وفي صباح أول رمضان يركب الخانات والملوك والأمراء مرتدين الثياب الفاخرة متقلدين سيوفهم إلى قصر السلطان، وبين أيديهم العسكر ركبانا ومشاة شاكين في السلاح، وحينئذ يشرع السلطان في الخروج وحوله خاصته وحاشيته، ويسير الموكب السلطاني في شوارع دهلي وخلفه الطبول والصنوج حتى يصل إلى المسجد الكبير بالحاضرة، وهناك يأمر بتوزيع الهدايا الجليلة على الأمراء وكبار رجال الدولة فضلا عن خطيب المسجد ومؤذنيه (١٢٣).

---

(١٢٢) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٢٠-٥٢٢.

(١٢٣) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٤٢.

أما في ليلة النصف من شعبان (١٢٤) فكان يحتفل بها بإضاءة جميع المساجد بعد غروب الشمس ويخرج الناس إلى المسجد الكبير - الذي كان يبدو في أبهى صورة، ويعقد في صحنه مجلس حافل من المشايخ والمفتين برئاسة قاضي القضاة.

٤ - الطعام وموائد السلطان

كانت المآدب والأسمطة مظهرا من مظاهر الاحتفال بالمواسم والأعياد في عهد بني تغلق، فقد عني سلاطين بني تغلق بتنظيمها عناية خاصة، كما بالغوا في إعدادها، فكانت موائد السلطان محمد شاه تغلق تمد في قاعات استقبال ضخمة يخصص منها قاعات استقبال للعامة وأخرى للخاصة، ويتجلى من وصفها أثر الحالة الاقتصادية والتركيبة الاجتماعية في تقسيم الطعام على أساس طبقات المجتمع، فكان هناك مطبخان، مطبخ الخاصة ومطبخ العامة، فأما الخاص فيقوم بإعداد طعام السلطان الذي يأكل منه، وعادته أن يأكل في مجلسه مع الحاضرين، ويحضر لذلك الأمراء الخواص، وأمير حاجب ابن عم السلطان، وعماد الملك «سرتيز»، وأمير المجلس، ومن شاء السلطان تشريفه أو تكريمه من الأعزة أو كبار الأمراء دعاه، فيأكل معهم، وإذاأراد السلطان تشريف أحد من الحاضرين أخذ إحدى الصحاف بيده، وجعل عليها خبزة، وأعطاه إياها وربما بعث من ذلك الطعام إلى من هو غائب عن المجلس.

أما الطعام العام، فيؤتى به من المطبخ، وأمامه النقباء يصيحون : «بسم الله» ونقيب النقباء أمامهم بيده عمود ذهب، ونائبه معه بيده عمود فضة، فإذا دخلوا قام الجميع إجلالا واحتراما، ولايبقى من الجلوس أحد إلا السلطان، فإذا وضع الطعام اصطف النقباء صفا، ووقف أميرهم أمامهم، فيقدم التحية للسلطان، ويؤدي النقباء التحية، ويفعل ذلك جميع الحضور من كبير وصغير، وعادتهم ألا يتحرك أحد حتى

(١٢٤) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٣٥.

يفرغ نقيب النقباء من مدح السلطان والثناء عليه، وبعد الفراغ من ذلك يجلس الناس للطعام، وجل طعامهم الرقاق والشواء والأقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء والأرز والدجاج والسمبوسك (١٢٥).

كان كبار رجال الدولة يحضرون أيضا الطعام العام لمشاركة العامة أفراحهم وسرورهم، فيجلس في صدر سماط الطعام القضاة والخطباء والشرفاء والمشايخ، ثم أقارب السلطان، ثم الأمراء الكبار، ثم سائر الناس، ولايجلس أحد إلا في موضع معين له، فلايكون بينهم تزاحم البتة، فإذا جلسوا أتى الشربدارية (السقاة) وبأيديهم أواني الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوءة بالنبات المحلول بالماء، فيشربون ذلك قبل الطعام فإذا شربوا قال الحجاب: «بسم الله» ثم يشرعون في الأكل، ومن عادتهم أن يجعل أمام كل إنسان من جميع مايحتوي عليه السماط، يأكل منه وحده، ولايأكل أحد مع أحد في صحفة واحدة، فإذا فرغوا من الأكل أتي بالفقاع (١٢٦) في أكواز القصير، فإذا أخذوه قال الحجاب: «بسم الله» ثم يؤتى بأطباق التنبول (١٢٧) والفوفل (١٢٨)، فيعطى كل إنسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من

(١٢٥) السمبوسك: لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل يلف برقائق مقلية بالسمن.
ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص ٤٢٥، ٤٧٢.

(١٢٦) الفقاع: نوع من الشراب يعمل من أصناف متعددة، من الشعير والعسل والكرفس والنعنع.
ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، هامش ص ١٢١.

(١٢٧) التنبول: عبارة عن أوراق اسمها العلمي Piper Petle لها طعم القرنفل عطري حريف تستعمل بطريقة المضغ، وتفيد في حالة الشفاء من مرض الدوسنطاريا، وهي تركب مع بعض التوابل، ويصنع منها مضغة توضع في علبة من الفضة وتقدم للضيوف والزائرين.
جوستاف لوبون: حضارة الهند، ص ٧٩.

(١٢٨) الفوفل: نوع من النخيل تكثر زراعته في بلاد الهند، وفي سرنديب (سيلان) واسمه العلمي Arec-acaechw وهو عبارة عن حبات حمراء أو سوداء في كبائس (تشبه كبائس التمر)، ويستعمل بعد دقه، ويخلط بالدخان والقرنفل.
ابن منظور: لسان العرب، ج٧ ص ١٠٣.
المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ٣٥، ١٩٧٣م، ص ٥٩٩.

التنبول مجموعة مربوطة بخيط حرير أحمر، فإذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب : «بسم الله» فيقومون جميعا ثم ينصرفون.

أما الموائد في البيوتات الكبيرة فيتجلى من وصفها مدى البذخ والترف الذي كان ينعم به أهل السيادة، فجل طعامهم الأرز والدجاج، وكان يؤتى بمائدة من النحاس يسمونها (خونجة) يوضع فوقها طبق من النحاس يسمى (الطالم) وتقوم جارية حسناء ترتدي ثوبا من الحرير بصب الطعام في قدور الآكلين بواسطة مغرفة كبيرة، فتغرف بها من الأرز مغرفة واحدة تضعها في الطالم وتصب فوقها السمن، ومعه الفلفل والملح والزنجبيل الأخضر والليمون المملح والمنجو المملحة، فإذا فرغ الصحن، غرفت الجارية غرفة واحدة أخرى من الأرز وفوقها دجاجة مطبوخة يأكل بها الأرز، فإذا انتهى الدجاج، أتوه بألوان من السمك يأكلونه بالأرز أيضا، فإذا انتهى الآكلون من السمك قدمت الخضر المطبوخة بالسمن، فيأكلون معها أرزا ثم يقدم الكوشان - اللبن الرائب - وبه يختتمون الطعام، وتقديمه علامة على أنه لم يبق من الطعام شيء وبعد ذلك يشربون المشروبات الساخنة (١٢٩).

كانت الأسواق تعج بالأطعمة والأشربة الجاهزة، فكان يباع فيها الأطعمة المتنوعة كالشواء والأرز والمطجن والمقلي والمنوع، والحلوى المتنوعة على خمسة وستين نوعا، ومن الفقاع والأشربة مالايكاد يحصى، مما يدل على وفرة السلع الغذائية والخضراوات والفاكهة، منها الأرز فقط على واحد وعشرين نوعا، فضلا عن اللفت والجزر والقرع والباذنجان والهليون والزنجبيل، وهم يطبخونه كما يطبخ الجزر، وله طعم لايعادله شيء، وبها السلق والبصل والثوم والثمار وغيرها (١٣٠).

---

(١٢٩) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٧٢.

(١٣٠) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٩٧.

Smith : OP. Cit., P. 246.

ومما تجدر الإشارة إليه أن رخص أسعار السلع يعكس مدى وفرتها في الأسواق، وبالتالي رخاء الحالة الاقتصادية الأكثر ارتباطا بالحياة الاجتماعية، وبخاصة أن متوسط رواتب رعايا الدولة كان يبلغ عشرة آلاف تنكة سنويا بينما لم يقل الراتب عن ألف تنكة أي ثمانية آلاف درهم (١٣١). فكان كل منّ من القمح بدرهم ونصف هشتكاني، والشعير كل منّ بدرهم واحد، والأرز كل منّ بدرهم وربع، والحمص كل منّ بدرهم واحد، ولحم البقر والمعز سعر واحد، ويباع كل ستة طيور بدرهمين هشتكانيين (١٣٢)، والدجاج كل أربعة طيور بدرهم هشتكاني، والسكر خمسة أشيار (٧٠مثقالا) بدرهم هشتكاني، والنبات كل أربعة أشيار بدرهم، ورأس الغنم الجيد السمين الفائق بتنكة (١٣٣) واحدة، ورأس البقر الجيد بتنكتين، وربما كان أقل.

ومن ناحية أخرى نجد ضروبا من التفنن عند الأمراء وكبار رجال الدولة في التمتع بتناول الطعام، تجلى في أن الأمير كان يجلس في أسفاره البحرية على مقعد يصعد إليه على درج، فوق ظهر السفينة، ويقف مماليكه عن يمينه ويساره، والسفينة يسيرها نحو أربعين من المقدفين، وتسير عن يمينها ويسارها أربع سفن تحمل الطبول

(١٣١) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(١٣٢) درهم هشتكاني : إحدى العملات المستخدمة في بلاد الهند، وكانت لهم أربعة دراهم يتعاملون بها، أحدها - الهشتكاني : وهو وزن الدرهم النقرة في مصر، ويساوي الدرهم الهشتكاني ثمانية جتيلات، كل جتيل أربعة أفلس، فيكون اثنين وثلاثين فلسا، والثاني - الدرهم السلطاني : ويسمى وكاني، وهو ربع درهم هشتكاني، وكل درهم من السلطانية عنه جتيلان، ولهذا الدرهم السلطاني نصف يسمى جتيلا واحدا، والثالث - الششتكاني : وهو ثلاثة أرباع درهم هشتكاني، ويكون تقديره بالدراهم السلطانية ثلاثة دراهم، والرابع - الدرهم الدرازدهكاني : وهو يساوي الدرهم الششتكاني.

ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(١٣٣) التنكة : نقد ذهبي أو فضي يعادل ثمانية دراهم هشتكانية، ويعبر عن تنكة الذهب بالتنكة الحمراء، وعن تنكة الفضة بالتنكة البيضاء، وكل مائة تنكة من الذهب أو الفضة تسمى لكا، إلا أنه يعبر عن لك الذهب باللك الأحمر، وعن لك الفضة باللك الأبيض.

والأبواق، وأهل الغناء والطرب يعزفون ويغنون والطبول والأبواق تضرب، وتظل الحال على ذلك من أول النهار إلى وقت الغداء، فإذا جلس للغداء صفت السفن بعضها إلى بعض وقدم المغنون والمطربون إلى سفينة الأمير، فأخذوا في الغناء إلى أن يفرغ من طعامه، ثم يأكلون ويعودون بعد ذلك إلى سفنهم، ثم يستأنف السير على هذا النحو إلى الليل، وينزل الأمير في حملة تضرب له على الشاطئ فيدخل مضاربه ويمد السماط بالطعام فيأكل معه أكثر أتباعه من الحرس، وبعد صلاة العشاء يجيء السمار بالتناوب إذا انتهت نوبة فريق منهم نادى المنادي معلنا الأمير بما مضى من الليل، وهكذا يفعل أصحاب النوبة الثانية حتى يطلب إليهم الأمير أن يكفوا (١٣٤).

٥ - تقاليد الزواج وزيارة القبور

أ - مراسم الزواج

تتجلى تقاليد بني تغلق في الزواج من خلال وصف مراسم زواج الأمير سيف الدين من أخت السلطان فيروز خوندة، فعندما تقدم الأمير سيف الدين بن هبة الله ابن مهنى - أمير عرب الشام (١٣٥) للزواج من أخت السلطان فيروز خوندة، ضربت في أفنية القصر صيوانات كبيرة أقيمت فوق كل منها قبة ضخمة، وفرش ذلك كله بالفرش الحسان، وأحضر المغنون والمغنيات والراقصات، كما أحضر الطباخون والخبازون والشواءون، وصناع الحلوى والشراب، وذبحت الأنعام والطيور، وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما ليلا ونهارا (١٣٦).

---

(١٣٤) محمود الشرقاوي، رحلة مع ابن بطوطة، ص ٢٨٧.

(١٣٥) كان الأمير سيف الدين هبة الله قد قدم على السلطان فأنزله بقصر منيف داخل مدينة دهلي، ويعرف (بكشك لعل) أي القصر الأحمر، وكان السلطان محمد شاه تغلق شديد المحبة للعرب مؤثرا لهم، فلما وصل هذا الأمير أجزل له العطاء وأحسن إليه إحسانا عظيما وأهداه عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة، عليها اللجم المذهبة.
انظر ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص ٤٨٢.

(١٣٦) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٨٣.

ومن ناحية أخرى كان قصر السلطان يزين ويفرش بأحسن الفرش، ثم يؤتى بالأمير العريس تحيط به عظيمات النساء من دار السلطان فيجلسنه على مرتبة خاصة وذلك بأمر السلطان الذي أمرهن بأن يقمن مقام أمه وأخته وعمته تأنيسا له وتكريما، وقبل العرس بيومين تقوم النساء بصبغ يديه وقدميه بالحناء ثم ينصرفن ويتركنه مع خواص أصحابه، فإذا كان يوم الزفاف حضر الزوج مع خواصه إلى باب الموضع الذي تكون به خلوته على الزوجة فيجد به جماعة من أهل الزوجة تمنعه حتى يتغلب عليهم، أو يعطيهم الآلاف من الدنانير إن لم يستطع إزاحتهم عن الباب، فلما قدم الزوج مع جماعته حمل بهم على أهل الزوجة حملة عربية صرعوا بها كل من عارضهم، وبلغ ذلك السلطان فأعجب به ودخل الزوج مكان العروس، التي كانت تجلس فوق منبر عال مزين بأفخر أنواع الحرير مرصع بالجواهر، والمكان مكتظ بالنساء والمطربات.

وكانت الأميرة تنثر العملات الذهبية على رؤوس الحاضرين، فإذا فرغت يتقدم الزوج فيأخذ بيدها، فينزل وهي تسبقه فيركب فرسه تسير به فوق الفرش والبسط، وتنثر الدنانير عليه وعلى أصحابه، وتوضع العروس في محفة يحملها العبيد على أعناقهم إلى قصره، ويسير موكبها فإذا مروا بدار أمير أو كبير خرج إليهم لأداء التحية(١٣٧).

أما مراسم الزواج عند العامة فكانت تتسم بالبساطة، حيث يرسل الشاب الراغب في الزواج ذويه إلى بيت العروس - التي كان يفضلها أن تكون كثيرة المال والجهاز، فإذا تمت الخطبة وحان موعد الزفاف، يرسل أقرباء الزوجين وأصدقاؤهما ماتيسر من الأموال والطعام.

كان العامة يقلدون الأمراء والأغنياء في تزيين بيوتهم بالفرش والستور، كما

(١٣٧) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٤٨٣-٤٨٤.

تقوم النسـاء بصبغ أيدي وأقدام العروسين بالحناء، وكان على العريس أن يتغلب أيضاعلى جماعة من أهل العروس، حتى يطمئن على قدرته على تحمل مسئوليات وأعباء الزوجية، وكانت العملات الذهبية عند علية القوم يقابلها عند العامة الفلوس النحاسية والبرونزية أو أشباهها، حيث تنثر على العروسين خلال تحركهما من مكان العرس إلى منزل الزوجية، وكان على صاحب العرس أن يتحمل نفقات أهل الطرب من عازفين ومغنين وغيرهم (١٣٨).

ب - زيارة القبور

أما عادتهم في زيارة القبور، فكانوا يخرجون إلى القبور في صبيحة اليوم الثالث من دفن الميت ويفرشون جوانب القبر بالبسط والحرير، ويضعون الزهور فوق القبور، وتتألف من زهور صفراء وبيضاء، فضلا عن الأغصان المثمرة مثل النارنج والليمون دون أن ينزعوا ثمارها، وينثرون على القبر الفواكه اليابسة وجوز النارجيل، ويجتمع الناس، ويؤتى بالمصاحف، فيقرءون القرآن ويسمونه «الختمة» فإذا ختموه، أتوا بماء الجلاب فسقوه للناس، ثم يصب عليهم ماء الورد. ومن عادتهم في ذلك أن يضعوا نعل الميت فوق متكأ قبره، فإذا انتهوا من مراسم الدفن، يعود الناس إلى دار أهل المتوفى فيجدون الطعام جاهزا فيأكلون جميعا، ولاسيما المساكين، وكانت مقابر العاصمة دهلي تبنى عليها القباب، ولابد أن يقام عند كل قبر محراب حتى لو كان من غير قبة، وتزرع فيها الأشجار المزهرة التي لاتنقطع طوال فصول السنة (١٣٩).

ولما تفشت ظاهرة خروج النساء لزيارة القبور ومشاهد الأولياء تصدى لها السلطان فيروز شاه، وأمر بمنع هذه البدعة للقضاء عليها. ويقول السلطان فيروز

(138) Major : Op. Cit., P. 77.

(١٣٩) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ٥١٨-٥١٩.

شاه: «من البدع المنكرة الفاشية التي قضينا عليها وشددنا في أمرها زيارة جم غفير من المسلمات للقبور ومشاهد الأولياء أيام الأعياد، والحال أنها محظورة في الشرع، فأصدرنا الأمر الملكي بمنع النساء من تعاطي هذا المنكر وتعزير كل من تتجاسر منهن على ركوب هذا المسلك الوعر من بعد ... فمحيت هذه البدعة بفضل من الله وتوفيقه» (١٤٠).

٦ - المجالس الاجتماعية

أ - مجالس العلم والأدب

كانت مجالس العلم والأدب تعقد في قصور السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة حيث يجتمع فيها العلماء والأدباء والفقهاء مع الأمراء للمناقشة والمناظرة وإلقاء الأشعار، فمن بينهم الفقيه شمس الدين الأندكاني (١٤١)، وكان حكيما شاعرا مدح السلطان محمد شاه تغلق بقصيدة باللسان الفارسي، وكان عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتا، فأغدق عليه السلطان، والعالم الجليل عبد العزيز الأردبيلي، وكان فقيها محدثا، قرأ بدمشق على تقي الدين ابن تيمية وشمس الدين الذهبي، وغيرهما، ثم قدم على السلطان فأحسن إليه وأكرمه (١٤٢).

كان السلطان محمد شاه تغلق لايفارق العلماء سفرا ولاحضرا. قال الفقيه العالم أبو الصفا عمر بن اسحق الشبلي (١٤٣) : «كنا معه (السلطان محمد شاه تغلق)

---

(١٤٠) الندوي، المرجع نفسه، ص ٣٦-٣٧.

(١٤١) الأندكاني : نسبة إلى بلدة أندكان، وهي من قرى فرغانة.
ياقوت : معجم البلدان، المجلد الأول، ص ٢٦١.

(١٤٢) عبد المنعم النمر، المرجع نفسه، ص ١٧٩.

(١٤٣) أبو الصفا عمر بن إسحق الشبلي : هو سراج الدين أبو الصفا عمر بن إسحق بن أحمد الشبلي العوضي، من إقليم عوض في الهند، وهو من أعيان الفقهاء، هندي الأصل والمولد، مصري الدار

في بعض غزواته، فلما كنا في أثناء الطريق جاءته من مقدمة عساكره كتب البشرى بالفتح ونحن بين يديه فحصل له السرور وقال : «هذا ببركة هؤلاء العلماء»، ويستطرد العالم الفقية قائلا : «ومنار الشرع عنده قائم وسوق أهل العلم لديه رائج يشار إليهم بالتوقير والإجلال»(١٤٤).

كما كان يتردد على هذه المجالس بعض المهتمين بالعلم والأدب حيث يتسامرون وينهلون منها، فضلا عن دعوة الأدباء والعلماء إلى هذه المجالس من جانب السلاطين، فمن ذلك الشاعر حافظ بن شيراز. مما كان له أثر كبير في إثراء المجالس الاجتماعية وتشجيع الأمراء ورجالات الدولة على أن يحذوا حذوهم. فبذل الكثير من القضاة وأصحاب المناصب العليا والتجار جهودا مشكورة في خدمة العلم، من إقامة المكتبات، وجلب العلماء والأكفاء، ومنهم من ألزم نفسه بدفع نفقات الصلات والمعلمين العلمية والمعيشية، لتعم المعرفة كافة طبقات الشعب، ومنهم من أوقف ممتلكاته لخدمة هذا الجانب الجليل الذي حث عليه الإسلام.

ومن ناحية أخرى حرص سلاطين بني تغلق على تشجيع أهل العلم وتقديم العون لهم، وفي سبيل تحقيق ذلك، قام السلطان محمد شاه بإنشاء مدرسة دهلي سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م وقد ألحق بها مسجدا (١٤٥) كما قام السلطان فيروز شاه بتأسيس عدة مدارس لتدريس مختلف العلوم الشرعية والعقلية، وبلغت أكثر من ثلاثين

والوفاة، قاضي قضاة الحنفية بمصر خمسة عشر عاما، ولد سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م، وتوفي سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م واشتهر بلقب السراح الهندي.

ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات، المجلد الثالث، ج٦ ص ٢٢٨-٢٢٩.

(١٤٤) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٦٥

Smith : Op. Cit., P. 238.

Lane-Poole : Op. Cit., P. 97.

(١٤٥) يوسف حسين خان، المرجع نفسه، ص ٦٤-٦٥.

مدرسة تحمل هو مصاريفها، وجعل منها مدارس للصبية، وأخرى للفتيات مما شجع النساء على التحصيل والمعرفة، وبخاصة في مجال العلوم الدينية [١٤٦]، ونالت «مدرسة فيروز شاهي» شهرة فائقة بين هذه المدارس، وكانت هذه المدرسة قد أنشئت في حديقة محكمة التخطيط، ألحق بها مبان لائقة يسكنها الأساتذة والعلماء، فضلا عن مسجد وضريح، وكان جلال الدين الرومي يتولى منصب عمادة هذا المعهد الشهير [١٤٧].

كما تبرع فيروز شاه بأراض جديدة لتوسيع المدارس وجدد الأبنية القديمة، ومنح العلماء والفضلاء أراضي خاصة، واعتمد للطلبة الفقراء المنح الدراسية، لكي يتابعوا دراستهم في سعة دون أن يعانوا ضيقا ماليا [١٤٨]، مما كان له أثر بالغ في الحفاظ على الحماس التعليمي والنشاط الثقافي. ومما تجدر الإشارة إليه أن السلطان فيروز شاه لما فتح قلعة نجركوت وجد فيها مكتبة هندوسية تضم ألفا وثلاثمائة كتاب في مختلف العلوم فأمر أن تترجم الكتب الثمينة فيها حتى يطلع عليها العلماء، فترجمت عدة كتب في الرياضيات والفلك والأدب والموسيقى، نقل منها الشيخ عبد العزيز بن شمس الدين الدهلوي كتابا كان يشتمل على مائة وأربعة أبواب، ترجم منها مائة باب في أحكام الكسوف والخسوف وكائنات الجو وعلامات المطر وعلم القيافة[١٤٩] وغيرها.

ازدهر التعليم في عصر فيروز شاه ازدهارا باهرا في عواصم المقاطعات كلها

(١٤٦) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج١ ص ٣٨٧.

(١٤٧) يوسف حسين خان، المرجع نفسه، ص ٦٤.

(١٤٨) محمد عبد المجيد العبد، الإسلام والدول الإسلامية في الهند، ص ٢٤.

(١٤٩) علم القيافة : اقتفاء الأثر، والقائف الذي يعرف الآثار أي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه.

ابن منظور، لسان العرب، مجلد ٩، ص ٢٩٣.

ولم يقتصر على الحاضرة دهلي، فترتب على ذلك استمرار الحركة الفكرية والثقافية. حتى في أحلك الظروف التي مرت بها الهند (١٥٠). فلما غزا تيمورلنك دهلي انتقل معظم العلماء إلى عواصم المقاطعات التي كانت قد انتعشت فيها الحياة الثقافية، والبيئة العلمية بفضل مئات المدارس التي كانت تزخر بها هذه الأقاليم (١٥١).

فضلا عما سبق كانت مجالس الوعاظ تعقد في المساجد وتختص بشرح المسائل الشرعية، والإجابة عن الأسئلة التي توجه إليهم من الذين يحضرون حلقاتهم، لأن الوعاظ كانوا في حقيقة الأمر علماء أجلاء وفد منهم أعداد كبيرة من بقاع العالم الإسلامي على الهند، لأن سلاطين بني تغلق كانوا يشجعونهم ويكرمون وفادتهم، ومن بينهم العالم كمال الدين عبد الله الغاري (١٥٢) والعالم الجليل برهان الدين الصاغري (١٥٣) - أحد الوعاظ الأئمة الذين كان لهم أثر بالغ في نفوس وعقول الناس، فاستطاعوا أن يبطلوا ما وجدوه مخالفا للشرع الحنيف، وبخاصة النهي عن استعمال أواني الذهب والفضة والملابس الحريرية، ووضع التصاوير ذات الروح على الأثاث والستور فضلا عن إبطال بدعة زيارة المسلمات لمشاهد الأولياء (١٥٤).

انتقل المد الثقافي إلى المنازل فكانت المجالس الخاصة تعقد بها لسماع الحكايات القصيرة من النوادر والأحاديث التي تتجلى فيها اللياقة والفضيلة ولقضاء أوقات الفراغ في الترويح والتسلية ولعب النرد والشطرنج (١٥٥).

---

(١٥٠) عبد المنعم النمر، المرجع نفسه، ص ١٣٨.

(١٥١) يوسف حسين خان، المرجع نفسه، ص ٦٨-٦٩.

(١٥٢) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٤٠.

(١٥٣) الصاغري : نسبة إلى صاغر وهي قرية كبيرة من قرى الصغد.
ياقوت : معجم البلدان، مجلد ٣ ص ٣٨٩.

(١٥٤) خادم حسين، أثر الفكر الغربي، ص ٣٥.

(155) Major. India in the fifteen century, P. 130.

ب - مجالس الموسيقى والغناء

انتشرت مجالس الطرب والغناء في بلاد الهند على عهد بني تغلق، وكان للسلطان الندماء والمغنون والموسيقيون، يرأسهم ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي على عهد السلطان محمد شاه تغلق، وكان ناصر الدين يختص بترتيب أهل الطرب للمناسبات والاحتفالات المختلفة، ففي الاحتفال بالأعياد كان يأتي بنات الملوك الكفار من الهنود المسبيات، فيغنين ويرقصن، ويهبهن السلطان للأمراء والأعزة، ثم يأتي بعدهن سائر بنات الكفار فيغنين ويرقصن، ويهبهن لإخوانه وأقاربه وأصهاره وأبناء الملوك، كذلك كانت الجواري المغنيات يجلسن في قباب خشبية عليهن أجمل اللباس وأبهى الزينة للاحتفال بعودة السلطان من أسفاره(١٥٦).

ويرجع انتشار الغناء في هذا العصر إلى كثرة الجواري وقلة أثمانهن لكثرة السبي، فالجارية الخادمة كان لايتعدى ثمنها بمدينة دهلي ثماني تنكات، واللواتي يصلحن للخدمة والفراش خمس عشرة تنكة، أما في غير دهلي فإنهن كن يبعن بأرخص من هذه الأثمان. وذكر أبو الصفا عمر بن إسحق الشبلي أنه اشترى عبدا مراهقا بأربعة دراهم. وعلى الرغم من قلة أثمان السواد الأعظم من العبيد والرقيق، إلاّ أن بعض الجواري الهنديات بلغ ثمنها عشرين ألف تنكة وذلك لحسن خلقها وحفظها للقرآن الكريم فضلا عن كتابة الخط ورواية الأشعار والأخبار، ومنهن من كن يجدن الغناء وضرب العود ويلعبن الشطرنج والنرد، فضلا عن أن ملامح الهنديات كانت أكثر حسنا من الترك، فغالبهن بياض ساطع مختلط بالحمرة، وعلى كثرة وجود الترك والقبجاق والروم وسائر الأجناس عندهم إلاّ أنه لايفضل أحد على ملامح الهنديات (١٥٧).

---

(١٥٦) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص ٥٢١.

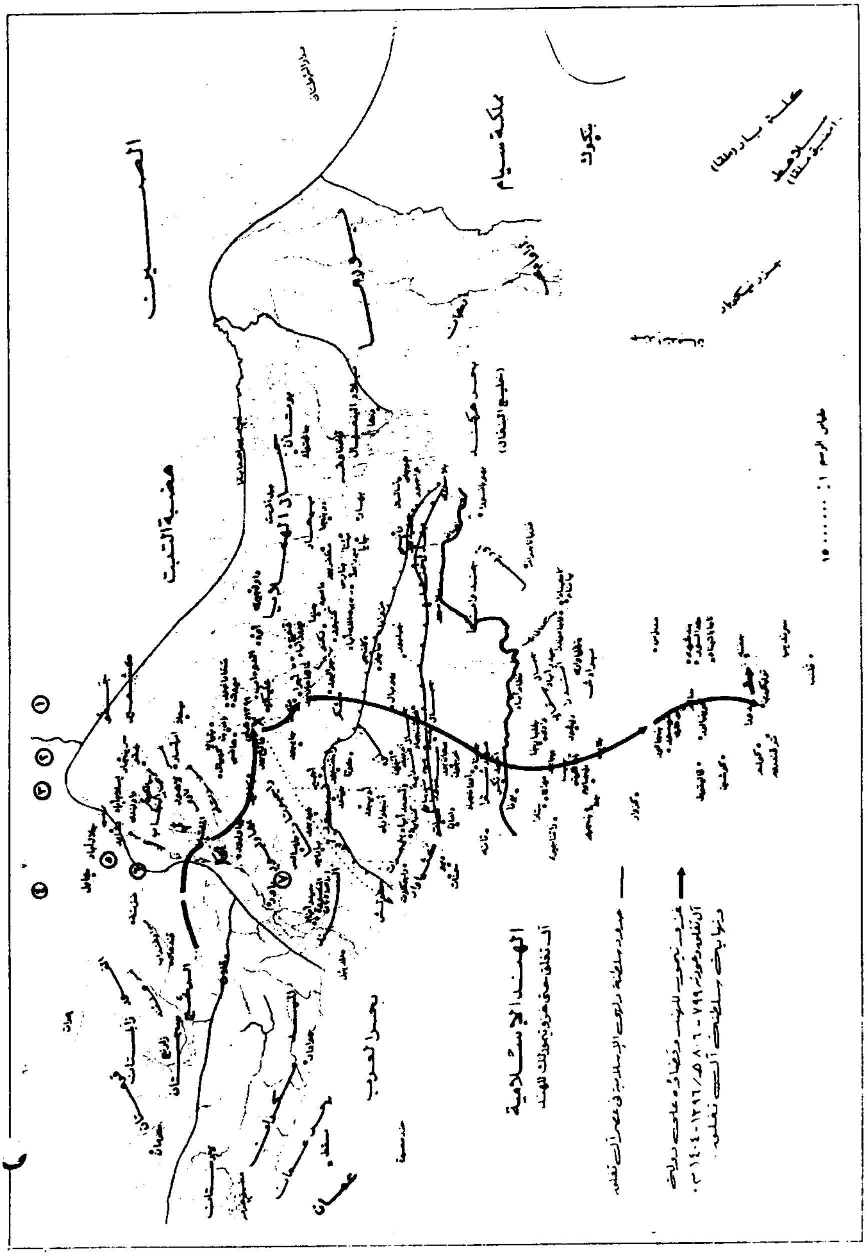
(١٥٧) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه، ص ١٧١.

وأنشئت سوق رائجة للجواري، كانت تسمى طرب آباد، وكانت أجمل الأسواق وأوسعها، منها الدكاكين الكثيرة، كل دكان له باب يفضي إلى دار حاجة،وللدار باب سوى ذلك، والحانوت مزين بالفرش، وفي وسطه مقعد كبير تجلس فيه المغنية وهي متزينة بأنواع الحلي، وحولها جواريها. وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها أمير المطربين بعد العصر من كل خميس، وبين يديه خدامه ومماليكه، وتأتي المغنيات طائفة بعد أخرى فيغنين ويرقصن إلى وقت الغروب [١٥٨].

كثر الاهتمام بالغناء والموسيقى في هذا العصر، فأقبل كثير من كبار رجال الدولة وأعيانها في مجالسهم الخاصة ومآدبهم على سماع المغنين والمغنيات، كما جرت عادتهم على اصطحاب أهل الطرب والطبالة في أسفارهم وخروجهم لقضاء الإجازات، فضلا عن تقديم الجواري والفتيان كهدايا قيمة في المناسبات الرسمية[١٥٩].

(158) Elliot & Dowson, Op. Cit., vol. lll. P. 341.

(١٥٩) ابن بطوطة : المصدر نفسه، ص ٥٤٢.



الهند الإسلامية
هضبة التبت
بحر العرب
عمان
مملكة سيام

خاتمة البحث

لما كانت الدولة الإسلامية في بلاد الهند خلال عهد بني تغلق قد تيسر لها سبل الحضارة، نلحظ تقدما كبيرا في نظمها السياسية والاجتماعية منذ قيامها على يد غياث الدين تغلق شاه - الذي وضع اللبنات الأولى نحو تطوير هذه النظم، غير أن ملامح الدولة السياسية وخصائصها الاجتماعية لم تتخذ شكلها المميز إلا في عهد السلطان محمد شاه تغلق وخلفائه، حيث صارت دولتهم التي تقوم على أسس وقواعد سياسية متطورة، ونظم وتقاليد اجتماعية راسخة.

يتجلى من ثنايا البحث أن السلطان كان يمثل حجر الزاوية في النظام السياسي، فهو مصدر الحكم والتشريع، والقائد الأعلى للجيش، لذلك ارتبط كيان الدولة بشخصه ارتباطا وثيقا، وكان يعاونه في تسيير أمور السلطنة جهاز كبير من النواب والأمراء والوزراء ورؤساء الدواوين، تم اختيارهم بدقة، وتقليدهم المناصب المناسبة لقدراتهم والاختصاصات المنوطة بهم.

يتجلى من دراسة طريقة اعتلاء سلاطين بني تغلق العرش، أنهم كانوا يصلون إليه تارة بالوراثة أمثال محمد شاه تغلق، وفيروز شاه، وغياث الدين بن فتح خاقان، وتارة كانت السلطنة تؤخذ غصبا من الذين آلت إليهم بالوراثة، مثلما حدث مع أبي بكر التغلقي الذي تمكن من الاستيلاء عليها بعد أن تغلب على غياث الدين ومحمد بن فيروز شاه، واستيلاء دولت خان لودهي على عرش بني تغلق سنة ٨١٤هـ/ ١٤١٢م.

كما يتضح أن السلاطين الذين طالت مدة حكمهم مثل محمد شاه تغلق، وفيروز شاه، هم السلاطين الأقوياء، وأن القاعدة العامة أن السلطان كان يبدأ حكمه بإزاحة خصومه وتوطيد سلطته.

تتجلى مظاهر التقدم السياسي في تعدد الوظائف الحكومية الرئيسية، ووظائف

الإنابة، فضلا عن الوظائف الإشرافية والتنفيذية، وأجهزة المتابعة المختلفة.

ومن ناحية أخرى يتضح أن أصحاب المناصب العليا والتابعين لهم خضعوا لنظام رقابة صارم، وأسلوب متابعة دقيق أتاح لسلاطين بني تغلق السيطرة الكاملة عليهم، ومحاسبتهم أولا بأول لضمان سير أمور الدولة بطريقة مضبوطة محكمة.

أما النظم الاجتماعية فكانت لها ملامح خاصة بسبب طبيعة تكوين المجتمع الهندي - الذي يتألف من عناصر جنسية متنافرة، لذلك وجد السلاطين صعوبة كبيرة في التوفيق بينها، كما شكلت الطوائف الدينية أيضا مصدر قلق للسلطة من جراء النزاع بين أربابها، مما استنفد جهدا كبيرا في سبيل القضاء على مظاهر الشغب.

أما عن مظاهر الحياة الاجتماعية، فتجلت في الترف والنعيم الذي بلغ أقصاه في بلاد السلاطين، وقصور الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة، بينما كان عامة الشعب يعيشون حياة بسيطة تتسم بالتقشف. وأصبح هناك تبعا لذلك طبقتان متميزتان، تشمل الطبقة الأولى السلطان ورجال دولته ومن يلوذ بهم، وتشمل الطبقة الثانية طوائف الشعب المختلفة والتي كان يمثلها السواد الأعظم.

يتجلى المظهر الإسلامي في أجمل صوره عند الاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية، فقد عني سلاطين بني تغلق بإحياء عيدي الفطر والأضحى في شيء كثير من الأبهة والعظمة، كما أولوا المواسم الدينية كثيرا من عنايتهم.

كما تتجلى المظاهر الاجتماعية في ذلك العصر في انتشار الغناء والطرب، فقد حفلت قصور السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة، وكبار التجار والأغنياء، بالندماء والمغنين والموسيقيين.

ومن ناحية أخرى كانت تعقد بهذه القصور المجالس الأدبية والعلمية، الأمر الذي أدى إلى جذب كثير من العلماء والأدباء من شتى أرجاء العالم الإسلامي، وبخاصة أن السلطان محمد شاه تغلق كان محبا للعلم كريما مع العلماء، فقدم لهم

العون والتشجيع على ممارسة نشاطاتهم وإظهار مواهبهم، وكان هو أديبا وشاعرا، له قطع أدبية تشهد بتذوقه للفن وروعة أسلوبه وعمق أفكاره.

كما يتضح أن السلطان فيروز شاه لم يكن أقل منه اهتماما بالعلم وأهله، فأسس عدة مدارس في العاصمة. والأقاليم لتدريس مختلف العلوم، وأحضر لها العلماء الأجلاء، ويسر لهم سبل العيش بما يزيد على حاجتهم تشجيعا لهم على البذل والعطاء.

وعلى الرغم من تقدم النظم السياسية والاجتماعية خلال حكم آل تغلق، إلا أن الدولة لم تنعم بالهدوء والاستقرار طوال عهدهم، بل اختل توازنها من جراء استفحال الصراع على السلطة، والتنافس على عرش السلطنة، فالتهمت الحروب الأهلية كثيرا من خيرات البلاد، فضلا عن الميزانية العسكرية من أجل تحقيق طموحات السلاطين وتوطيد سلطان الدولة على أقاليمها المترامية الأطراف.

لقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى انهيار دولة بني تغلق وسقوطها، يمكن تقسيمها إلى عوامل داخلية، وأخرى خارجية، وتتجلى العوامل الداخلية في الآتي :

١- شروع السلطان محمد شاه تغلق في نقل العاصمة من دهلي إلى ديوكر التي أطلق عليها دولة آباد (Daulatabad)، وماترتب على ذلك من نقل سكان دهلي إلى مسافة سبعمائة ميل، مما أضر بهم ضررا بالغاً، وبعد تلك المعاناة عدل عن رأيه، وشرع في إنشاء ضاحية بالقرب من دهلي.

٢- فرض الجزية على الأمراء الراجبوتين التابعين لسلطنة دهلي، مما جعلهم يتحولون إلى أعداء للسلطنة فشجعوا الساخطين على الدولة للثورة ضدها، وذلك لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أشراف البلاد وسادتها.

٣- الاستكثار من جلب الرقيق، واستخدامهم في تكوين الجيش وبخاصة في عهد السلطان فيروز شاه، فصاروا مصدر قلق، وفقدت قيادتهم السيطرة عليهم لعدم انضباطهم لاختلاف أجناسهم، ومما زاد الأمر سوءا أن فيروز سمح لأبناء الجنود

المتقاعدين وعبيدهم أن يلتحقوا بالجندية في حالة تقاعدهم بدلا منهم، فصارت الخدمة في الجيش يدخل فيها عامل الوراثة دون اهتمام باعتبارات الكفاءة واللياقة.

٤- السياسة الدينية التي اتبعها السلاطين، فقد أدت المهادنة مع غير المسلمين إلى ظهور الإلحاد والزندقة من جانب الباطنية المتطرفة - الذين تطاولوا على أشخاص الخلفاء الراشدين وأعيان المسلمين، وكانوا يجتمعون رجالا ونساء لتعاطي الخمر وارتكاب الفواحش في الليالي الظلماء، كما أدت إلى ظهور مدعي الألوهية فمنهم شخص نكرة ظهر في بهار، وآخر مدع للنبوة في العاصمة نفسها. وعلى الرغم من جهود السلطان فيروز في التصدي لهم، ومحاولة القضاء على حركاتهم، إلا أن بقاياهم ظلت تعمل في الخفاء من أجل تقويض أركان الدولة التغلقية السنية.

٥- النزاع والصراع بين إقرار بني تغلق على السلطة والحكم، ففي أواخر عهد السلطان فيروز شاه، دب النزاع على ولاية عهد السلطنة بين الأمير محمد بن فيروز شاه، وابن أخ السلطان الأمير بن بهاء الدين وكمال الدين، الأمر الذي أدى إلى الصدام العسكري بين الفريقين، فشهدت شوارع دهلي معارك عنيفة من جرّاء الحرب الأهلية سقط خلالها الكثير من رجال الطرفين، ولم تنته الفتنة إلا بظهور السلطان فيروز شاه للعامة وهروب الأمير محمد إلى تلال سرور.

لما توفي السلطان فيروز شاه ولي السلطنة حفيده غياث الدين بن فتح خان في رمضان ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م الذي بدأ عهده بإرسال فريق من جيشه لمطاردة الأمير محمد بن فيروز شاه حتى قلعة نكركت، بينما انشغل هو عن تصريف أمور دولته بمتعه الخاصة وملاهيه مما أدى إلى إثارة حفيظة أهل بيته وكبار رجال دولته.

لم تدم سلطنة غياث الدين طويلا فاجتمع عليه ابن عمه أبو بكر ونفر من أفراد أسرته فأطبقوا عليه في قصره، ففر هاربا لكنهم لحقوا به وقتلوه، وولي السلطنة الأمير أبو بكر في صفر ٧٩١هـ/ فبراير ١٣٨٩م (١٦٠) وتلقب بأبو بكر شاه.

(160) Rawlinson : Op. Cit., PP. 240-241.

Mahajan : Op. Cit., P. 199.

عزم السلطان أبو بكر على التخلص من الأمير محمد بن فيروز شاه، فأنفذ وزيره شاه خوشدل إليه للقضاء عليه، لكن أتباع الأمير محمد تربصوا بالوزير عند سمانه وقبضوا عليه وقتلوه وبعثوا برأسه إلى أميرهم، وحرضوه على المسير إلى دهلي واسترداد السلطنة، كما طلب أهل دهلي إلى الأمير محمد أن يسير إليهم ووعدوه بالوقوف إلى جانبه ضد ابن عمه أبو بكر - الذي ما إن علم بذلك حتى ولى هاربا مع طائفة من أنصاره إلى بهادر نهير والي موات.

لما ولي الأمير محد بن فيروز شاه عرش السلطنة بدهلي في رمضان سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م تلقب بناصر الدين، وعهد إلى وزيره إسلام خان بالخروج مصاحبا لولي العهد همايون في طلب أبي بكر، فما زالا به حتى أوقعاه في الأسر، وألقي في السجن حتى قضى نحبه.

لم تستقر الأمور للسلطان ناصر الدين محمد تغلق الثاني، فقد تآمر عليه وزيره إسلام خان للاستيلاء على لاهور والملتان، وعمل على تأليب أهلها ضد السلطان مما أدى إلى إشاعة الاضطرابات في الولايتين، ولم تنته هذه الفتن إلا بمقتل الوزير(١٦١).

اضطر السلطان إلى الخروج لتأديب بهادر نهير - حاكم موات - الذي أعلن العصيان وقام بنهب ماحول العاصمة من بقاع، وخلال عودة السلطان أودى به المرض بحصن محمد آباد بظاهر دهلي، فولي عرش السلطنة ابنه همايون وتلقب بسكندر شاه، إلا أن سلطنة سكندر بن ناصر الدين محمد تغلق الثاني لم تدم طويلا فقد قضى نحبه بعد أيام قليلة، وخلفه أخوه ناصر الدين محمود، الذي اتخذ من خواجة جهان وزيرا، ولقبه وكيل السلطنة وولى سارنك خان إقليم ديبالبور(١٦٢).

---

(١٦١)أحمد محمود الساداتي : المرجع نفسه، ج١ ص ١٩٣.

(162) Rawlinson : Op. Cit., PP.243-244.

لم يستطع السلطان الجديد ووزيره الاحتفاظ بالسلطنة وإعادة هيبتها إلى سابق عهدها، فقد واجه عدة صعاب من جرّاء ضعف السلطان، وتنافس الأمراء وكبار رجال الدولة وتطلعهم للاستيلاء على الحكم، فاستقل كثير من حكام الأقاليم بولاياتهم وحصونهم معلنين خلع الطاعة لدهلي. ومما زاد الأمر سوءا استقلال الوزير خواجة جهان بجونبور وتأسيس أسرة ملوك الشرق (شاه شرقي) (١٦٣)، بينما دخل سارنك خان لاهور بعد استيلائه على الملتان.

كما تعرض السلطان نفسه سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م لمؤامرة من قبل أمرائه وكبار رجال دولته. وعلى الرغم من قيامه بالتصدي لهم والقضاء على كثير منهم إلا أنه لما عاد إلى حاضرة السلطنة، لم يسمح له مقرب خان - نائب السلطان - بدخولها، وأقفل أبوابها في وجهه، ولم يكتف بذلك بل استدعى أحد أحفاد فيروز شاه ونادى به سلطانا على فيروز آباد ولقبه نصرت شاه، فأصبح هناك سلطانان أحدهما على دهلي والآخر ينادى باسمه على منابر فيروز آباد (١٦٤). مما فتح باب الصراع بين الحاكمين على مصراعيه، وصار كل منهما يعمل على التخلص من الآخر والانفراد بالحكم وسارت الدولة كلها نحو الهاوية بخطى واسعة.

أما العوامل الخارجية فتتجلى في الآتي :

١ - تحملت خزينة الدولة مبالغ طائلة من المال والذخائر والجواهر التي أرسلت إلى زعيم قبائل الأولوس الجغتائيين، وأدت محاولات استعواضها إلى عسف الأمراء بالتجار والزراع، فهجر كثير من المزارعين أراضيهم، وفروا إلى الغابات.

٢ - عدم اختيار الوقت المناسب لحملة السلطان محمد شاه تغلق التي أرسلها

---

(163) Mahajan : Op. Cit., P. 200.

(١٦٤) أحمد محمود الساداتي : المرجع نفسه، ج١ ص ١٩٣.

Mahajan : Op. Cit., PP.200-201.

إلى ولايات الهملايا، حيث دهمتها الثلوج وقضت على معظم رجالاتها، كما أصيب رجال جيشه بالكوليرا عندما أنفذه إلى الأمير الثائر جلال الدين إحسان شاه سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م.

٣- السياسة اللامركزية التي اتبعها سلاطين بني تغلق مع حكام الولايات، فكانوا يتحينون الفرص للانفصال عن سلطة دهلي والاستقلال بولاياتهم كما حدث في جونبور (Junpur). وظفر أباد (Zafabar). وكوجرات (Gujarat). وبهار (Bi-har). كما استقل الأمراء الهندوكيون بالدكن وتحالفوا على محاربة المسلمين.

٤- تفشي ظاهرة الاستقلال عن حاضرة الدولة بسبب ضعف خلفاء فيروز شاه، فاستقلت الولايات خلال حكم غياث الدين تغلق شاه الثاني، وأبي بكر شاه، وناصر الدين محمود، وعلاء الدين سكندر شاه، فضلا عن استقلال الوزير خواجة جهان بإقليم جونبور وإقامة أسرة حاكمة عرفت باسم شاه شرقي (ملك الشرق)، بعد أن انقسمت سلطنة آل تغلق إلى إمارتين، إحداهما في دهلي سلطانها ناصر الدين محمود، والثانية في الملتان عليها سارنك خان.

٥- الغزو التيموري لبلاد الهند أواخر عهد بني تغلق، ففي مستهل ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م عبر محمد جهانكير - حفيد تيمورلنك [١٦٥] السند وتوغل في الملتان، ثم أقبل تيمورلنك بنفسه على الهندستان فعبر السند على رأس جيوشه في

---

(١٦٥) كان تيمورلنك (٧٣٦-٨٠٧هـ/ ١٣٣٥-١٤٠٥م) من سلالة أحد وزراء التتار، ولد بإحدى قرى سمرقند فيما وراء النهر والتحق بخدمة حاكم سمرقند، ولم يلبث أن أخضع سمرقند كلها لحكمه، ثم ضم خوارزم وهراة وسيستان سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م وامتد سلطانه إلى شمالي فارس وأذربيجان وجورجيا خلال الأعوام ٧٨٨-٧٩٠هـ/ ١٣٨٦-١٣٨٨م وبلاد طغتمش خان في نهر الفولجا، كما فتح جبهة جديدة لجيوشه عندما هاجم بلاد الهند.

A short History of Hind-Pakistan, P. 158.

Majumdar : Op. Cit., PP. 336-367.

Mahajan : Op. Cit., P. 201.

المحرم سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م والتقى قوات شهاب الدين مبارك - أمير بهيت-فقضى عليها واتجه نحو ديبالبور حيث سقطت في يده، وسارع أهل البلاد والمدن المحيطة بالعاصمة دهلي إلى الاستسلام.

أنفذ تيمورلنك القائدين سليمان خان وجهان خان لاستكشاف الأرض المحيطة بدهلي الجنوبية والجنوبية الشرقية، وبعد أن اكتملت الاستعدادات اتجهت قوات تيمورلنك صوب دهلي في مستهل جمادى الأولى من العام نفسه، واتخذ تيمورلنك موقعه في القلب وجعل على الجناح الأيمن بير محمد جهانكير ويادكربرلاس، وعلى الجناح الأيسر سلطان حسين والأمير خليل وجهان شاه (١٦٦).

أما في الجانب الاخر فقد تقدم السلطان محمود تغلق بصحبة وزيره إقبال خان على رأس عشرة آلاف من الفرسان وأربعين ألفا من المشاة (بيادة) فضلا عن مائة وخمسة وعشرين من أفيال الحرب المدربة، وما إن التقى الفريقان حتى تمكنت قوات تيمورلنك من الالتفاف حول مقدمة السلطان وقتلت منهم فريقا كبيرا بينما تقدم جهانكير إلى الجناح الشمالي للجيش السلطاني وشتت شمله واضطر رجاله للفرار من المعركة. ومن ناحية أخرى اضطر السلطان محمود ووزيره إلى الانسحاب من الميدان بعد قتال شديد مع جيش تيمورلنك واتجه الوزير إلى بيرن في حين سار السلطان إلى الكجرات، ودخلت قوات تيمورلنك دهلي في الثامن من جمادى الآخرة سنة ٨٠١هـ/ ١٤٠٠م (١٦٧)، حيث استقبله العلماء والأعيان استقبالا حافلا وقدموا له فروض الولاء والطاعة وسألوه العفو والأمان وأجريت له الخطبة ودعي له على المنابر (١٦٨).

---

(١٦٦) أحمد محمود الساداتي : المرجع نفسه، ج١ ص ٢٠٠.

(167) Elliot & Dowson : Op. Cit., vol lll, P. 400, P. 502.

(168) The new Encyclopedia Britannica, vol. 21. P. 63.

يرجع استقبال أهالي دهلي لتيمورلنك ذلك الاستقبال الحار إلى ماكانوا يعانونه من اضطرابات وسوء الأحوال أواخر عهد بني تغلق، وبخاصة الصراع والتنافس على اعتلاء عرش السلطنة وماتكبدوه من مشاق الحروب الأهلية، فضلا عن إعلان تيمورلنك أنه لم يأت إلى الهند إلاّ من أجل رفع راية الجهاد الإسلامي : «والغرض من حملتي على الهند وتجشم وعثاء السفر ينقسم إلى نوعين : الأول مقاتلة عبدة الأوثان الذين هم أعداء الإسلام، وثاني اثنين يتعلق بحطام هذه الدنيا الدنيئة، وهو أن يدخر الجيش الإسلامي مايتيسر له من غنائم أموال عباد الأوثان »(١٦٩).

لما دانت العاصمة دهلي لتيمورلنك قفل راجعا إلى بلاده آخر جمادى الآخرة سنة ٨٠١هـ/ ١٤٠١م ، وفي طريق عودته قدم له بهادرنهير صاحب موات فروض الولاء والطاعة كما أعلن خضر خان الخضوع للخاقان الأعظم، فعينه نائبا له على الملتان ولاهور وديبالبور وعاد إلى سمرقند عن طريق كابل.

لم ينته الغزو التيموري بخروج تيمورلنك من دهلي، فقد أقبل خضر خان نائب تيمورلنك نحو العاصمة وضرب عليها الحصار، وخلال ذلك توفي السلطان محمود تغلق في ذي القعدة ٨١٤هـ/ ١٤١٢م مما كان له أثر كبير في إضعاف دولة بني تغلق والتعجيل بزوال حكمها، واعتلى عرش السلطنة من بعده دولت خان لودهي(١٧٠).

لما انتهى خبر جلوس دولت خان لودهي على عرش دهلي إلى خضر خان قدم إليها على رأس ستين ألفا من جنده فدخل الحاضرة في ذي الحجة عام ٨١٦هـ/ ١٤١٤م بعد حصار دام نحو أربعة أشهر (١٧١)، وبدخول خضر خان

---

(169) Elliot & Dowson : Op. Cit., vol III, P. 461.

الندوي : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص ٤٩.

(١٧٠) أحمد محمود الساداتي : المرجع نفسه، ج١ ص ٢٠٨.

(171) Mahajan : Op. Cit., P 207, P. 210.

العاصمة واعتلائه عرش السلطنة، انتهى حكم آل تغلق الذي دام أكثر من تسعين عاما.

وعلى الرغم من أثر العوامل الخارجية في زوال دولة بني تغلق وانهيارها، إلاّ أن النزاع والتنافس على السلطة كان العامل الرئيسي في تدهور الدولة وسقوطها، ذلك أن أيا من أمراء البيت التغلقي لم يحارب من أجل إعلاء كلمة الإسلام ورفع شأنها في بلاد الهند، بل خاضوا غمار الحروب فيما بينهم من أجل السلطة الدنيوية الزائلة.

(كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)

صدق الله العظيم

جدول تسلسل سلاطين بني تغلق
في الهند الإسلامية
(٧٢١-٨١٦هـ/ ١٣٢١-١٤١٤م)

١- غياث الدين تغلق شاه	٧٢١-٧٢٥هـ/ ١٣٢١-١٣٢٥م
٢- محمد شاه تغلق	٧٢٥-٧٥٢هـ/ ١٣٢٥-١٣٥١م
٣- فيروز شاه التغلقي	٧٥٢-٧٩٠هـ/ ١٣٥١-١٣٨٨م
٤- غياث الدين تغلق الثاني	٧٩٠-٧٩١هـ/ ١٣٨٨-١٣٨٩م
٥- أبو بكر بن ظفرخان التغلقي	٧٩١-٧٩٢هـ/ ١٣٨٩-١٣٩٠م
٦- ناصر الدين محمد بن فيروز شاه	٧٩٢-٧٩٦هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٤م
٧- محمود بن محمد بن فيروز شاه	٧٩٦-٨١٤هـ/ ١٣٩٤-١٤١٢م

(حدث الغزو التيموري خلال حكمه مما أدى إلى ضياع السلطنة منه/ غير أنه عاد إليها بعد رحيل تيمورلنك، وتغلب أتباعه على معارضيه).

٨- دولت خان لودهي	٨١٤-٨١٦هـ/ ١٤١٢-١٤١٤م

(ولي السلطنة آخر العهد التغلقي على الرغم من أنه ليس من بني تغلق)

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية والفارسية

*** أحمد محمود الساداتي : الدكتور**

١- «تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم»، جزءان، مكتبة الآداب ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

*** برني : ضياء الدين**

٢- «تاريخ فيروز شاهي»، كلكته، ١٨٦٢م.

*** ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد إبراهيم اللواتي الطنجي، ت ٧٩٩هـ/ ١٣٧٧م.**

٣- «رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار»، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

*** جوستاف لوبون**

٤- «حضارة الهند»، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٤٨م.

***حسن الباشا : الدكتور**

٥- «الألقاب الإسلامية»، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م.

*** خادم حسين إلهي بخش : الدكتور**

٦- «أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع الإسلامي بشبه القارة الهندية»، دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

***زكي محمد حسن : الدكتور**

٧- «الرحالة المسلمون في العصور الوسطى»، دار المعارف ١٩٤٥.

*** سعد زغلول عبد الحميد : الدكتور**

٨- «الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط»، مجلة عالم الفكر، المجلد

العاشر، العدد الثاني (يوليو، أغسطس، سبتمبر)، الكويت ١٩٧٩م. المختار من عالم الفكر، العدد الأول، وزارة الإعلام، الكويت ١٩٨٤م.

* سعيد عبد الفتاح عاشور : الدكتور

٩- «العصر المماليكي في مصر والشام»، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م

* شاكر خصباك

١٠- «ابن بطوطة ورحلته»، دار الآداب، بيروت ١٩٧٠.

* الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد، ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٠م.

١١- «الملل والنحل»، مجلدان، تحقيق قمر سيد نحيلان، دار المعرفة، بيروت١٩٦٢م.

* عبد العزيز محمد الزكي : الدكتور

١٢- «الفكر الهندي من الهندوكية إلى الإسلام»، عالم الفكر، المجلد السادس، العدد الثاني، الكويت ١٩٧٥ (الصفحات ٣٣١-٤٦٨).

*عبد الله الأمين

١٣- «دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة»، دار الحقيقة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٩م.

* عبد المنعم النمر : الدكتور

١٤- «تاريخ الإسلام في الهند»، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م.

١٥- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، دار الكتب العلمية، ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات، بيروت ، لبنان (بدون تاريخ).

* ابن فضل الله العمري : أحمد بن يحيى، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م.

١٦- «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، دراسة وتحقيق د. محمد سالم بن شديد العوفي، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

*القشيري: عبد الكريم بن هوزان، ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٥م

١٧- «الرسالة القشيرية في التصوف»، تحقيق د. عبد الحليم محمود. الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٣م.

* القلقشندي : أبو العباس أحمد، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م.

١٨- «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، ١٤جزءا، القاهرة ١٩١٣-١٩١٧م.

*كراتشوفسكي : أغناطيوس

١٩- «تاريخ الأدب الجغرافي العربي»، ترجمة الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٥.

*محمد عبد المجيد العبد

٢٠- «الإسلام والدول الإسلامية في الهند»، الطبعة الأولى، مطبعة الرغائب١٩٣٩م.

* محمد علي الصابوني

٢١- «التبيان في علوم القرآن»، دار عمر بن الخطاب، الاسكندرية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

* محمود الشرقاوي :

٢٢- «رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا»، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨م.

* مسعود الندوي :

٢٣- «تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند»، دار العربية ١٩٧٧م.

* ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١هـ/ ١٣١٢م.

٢٤- «لسان العرب»، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

* ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م.

٢٥- «معجم البلدان»، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

*يوسف حسين خان :

٢٦- «نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى»، مجلة ثقافة الهند، دلهي، أبريل ١٩٦١م. العدد الثاني، الصفحات (٦٠-٧٧).

٢٧- «المنجد في اللغة والأعلام»، الطبعة الخامسة والعشرون، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣م.

٢٨- «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»، الطبعة الثانية، الرياض ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

* Agha Mahdi Husayn:

1- "The Tughlug Dynasty", Karachi, 1963.

* Elliot, H. M. & Dowson J.:

2- "THe History of India as told by its own historian", Mohammad Period, 8 vols. London 1867-1877.

* Habibullah, A. B. M.:

3- "The Foundation of Muslim rule in India'" 2nd rev. ed., Lahore, 1961.

❋ Hollister, J. N.:
4- "The Shia of India", London, 1953.

❋ Howorth, H.:
5- "History of The Mongols", 3 vols., London, 1846.

❋ Ischwari Prasad:
6- "A short History of Moslem Rule in India", Allahabad,1933.

❋ Lal, K. S.:
7- "History of the Khalijis AD. 1290-1320", Allahabad, 1950.

❋ Lane-Poole, S.:
8- "Mediaeval India under Mohammedan Rule A. D. 712-1764", Illustrated edition, A universal Publication, London, 1971.

❋ Major, H.A.:
9- "India in the Fifteen Century, London 1973.

❋ Majumdar, R. C.:
10- "An Advanced History of India", London, 1948.

❋Morel:
11- "A short History of India", London, 1890.

❋ Moreland and Chatterjee:
12- "A short History of India", 3rd edition, New York, 1963.

❋ Munshi:
13- "The Struggle for Empire", Bombay, 1969.

❋ Pakistan History Board:
14- "A short History of Hind-Pakistan", Pakistan. Historical Society, Karachi, 1955.

❋ Qureshi, I. H.:
15- "The Administration of the Sultanate of Delhi, Lahore, 1942"

* Rawlinson:
16- "A short Cultural History of India", New York, 1943.
* Smith, V. A.:
17- "The Oxford History of India from the earliest times to the end of 1911", Oxford, 1923.
* Vidya Dhar Mahajan:
18- "Muslim Rule in India", 5th edition, Chand & Co., New Delhi, 1970.
19- The Cambridge History of India, 5 vols., Cambridge, 1922-1929
20- The New Encyclopedia Britannica, 15th edition, printed in U.S.A., 1991.

Political and Social Systems in India at the Era of Bani Tughluq (721-816 A.H. / 1321-1414 A.D)

Abstract

State of Bani Tughluq was established in India at the beginning of the eighth century of Hijra / the fourteenth century A. D. by Ghayyath Al Din Tughluq when India was under the control of Khesrokhan the last ruler of the Khalji state who seized the throne of the Sultanate in 720 A. H./ 1321 A. D. When Dehli people asked Tughluq to help them, he immediately marched towards the capital and he was enthroned after getting rid of khesrokhan in 721 A. H./ 1321 A. D.

Despite being established by Ghayyath Al Din the political and civil systems of Bani Tughluq state developed only during the regime of his son Mohammed Sahah Tughluq who did his best to have the sultanate based upon advanced political rules and modern systems, his successors followed his footsteps and that contributed greatly to the development of political systems and the stability of social life.

The characteristics of the political system of the ruling staff were represented in the sultan who was the source of power and command along with a staff of aids carefully selected from the high ranking statesmen. The Sultans of Bani Tughluq established a system for monitoring the civil servants at all levels so as to make full control of them and to make a strict supervision to all the affairs. On the other hand

the sultans of Dahli managed to obtain recognition from the Abasside Caliphs for their regime to be legitimate. Also they paid attention to foster their relations with other countries through mutual establishing of embassies.

The social system had its own particular features due to the nature of population that were composed of different races that presented a great difficulty for the sultans to try to make them close to each other. Another source of trouble for those rulers was represented in the strife between the leaders of religious sects in addition to the class conflict between the Ragbot and the Shodra or the rejected class.

An important aspect of social life could be clearly seen in celebrating feasts and religious occassions, the various kinds of food and rituals of marriage and death. Also there were a lot of salons that were held at the palaces of Sultans, Amirs and Statesmen where scientists, artists and scholars met for discussions and telling verses. Those salons helped culture to flourish all over the sultanate. Schools were established for teaching religious and regular subjects. There were certain schools for boys and others for girls and that encouraged women to proceed in learning and education. Besides there were musical and singing parties throughout the whole India. Such parties were first held at the Sultan's Palace and later they moved to the palaces of Amirs, Statesmen and wealthy people.

Political and social systems accomplished a great deal of advance yet civil wars erupted due to strife for power and that led to weakening the regime. Rulers of states declared rebellion and independence and the foreign powers looked forward to seizing such a rich country. Thus the country came to a collapse on 816 A. H. / 1414 A.D.